
ملف المستقبل
سرى جدا !!
روايات مصرية للجيب
123
دائرة الظل
د. نبيل فاروق
Looloo
www.dvd4arab.com
الناشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع
ت : ٥٩٠٨٤٥٥ - ٢٨٣٥٥٥١ - ٢٥٨٦١٩٧

ملف المستقبل

فى مكان ما من أرض (مصر) ، وفى حقبة ما من حقب المستقبل ، توجد القيادة العليا للمخابرات العلمية المصرية ، يدور العمل فيها فى هدوء تام ، وسرّية مطلقة ؛ من أجل حماية التقدُّم العلمى فى (مصر) ، ومن أجل الحفاظ على الأسرار العلمية ، التى هى المقياس الحقيقى لتقدّم الأمم .. ومن أجل هذه الأهداف ، يعمل رجل المخابرات العلمية (نور الدين محمود) ، على رأس فريق نادر ، تم اختياره فى عناية تامة ودقة بالغة ..

فريق من طراز خاص ، يواجه مخاطر حقبة جديدة ، ويتحدّى الغموض العلمى ، والألغاز المستقبلية ..

إنها نظرة أمل لجيل قادم ، ولمحة من عالم الغد ، وصفحة جديدة من الملف الخالد ..

ملف المستقبل .

د . نبيل فاروق

١ - ظــلال بـلا أضــواء ..

ارتفع حاجبا كبير سعاة القصر الجمهورى المصرى ، فى تأثُّر وتعاطف شديدين ، وهو يتطلّع إلى رئيس الجمهورية ، الذى انهمك فى مراجعة عشرات التقارير والملفات ، على شاشة الكمبيوتر ، منذ عاد من لقائه الأخير ، مع وزير الدفاع ، والقائد الأعلى للمخابرات العلمية ، ورئيس مركز الأبحاث التابع لها ..

وفى شىء من الحذر والتردُّد ، تنحنح كبير السعاة ، مغمغمًا :

- سيادة الرئيس .. إنها الثالثة صباحًا ، وسعادتك لم تنعم بالنوم والراحة ، منذ السادسة من صباح أمس .

مطّ الرئيس شفتيه ، وأطلق زفرة حارة ، وهو يهزّ رأسه ، ويفرك عينيه المجهدتين ، قائلاً :

- ما زال أمامى الكثير من العمل يا (كارم) .. اذهب أنت للنوم ، ولا تقلق نفسك بشأنى .

اقترب كبير السعاة منه ، قائلاً فى إشفاق :

ـ كيف أذهب للنوم وأتركك مستيقظاً يا فخامة الرئيس ؟! عملى الأول هنا هو خدمتك ، وتلبية كل أوامرك ، والعناية براحتك واستقرارك .

تراجع الرئيس فى مقعده ، وفرك عينيه مرة أخرى ، قبل أن يقول فى مرارة :

ـ أى استقرار يا (كارم) ؟! لقد فقدت ذلك الشعور بالاستقرار تمامًا ، منذ حادث مدينة (السادس من أكتوبر) .

تساءل كبير السعاة فى حيرة :

ـ أى حادث يا فخامة الرئيس ؟!

صمت رئيس الجمهورية بضع لحظات ، قبل أن ينهض من مقعده ، ويتجه إلى النافذة ، مغمغمًا فى عصبية :

ـ انس ما قلته يا (كارم) ، ولا تقلق نفسك بمثل هذه الأمور .

نطقها ، وانطلق عقله يسترجع معلوماته القليلة للغاية ، فى هذا الشأن ..

والمؤسف أن كل ما يعلمه لا يتجاوز ما بلغه من

التقارير المشتركة لوزير الدفاع ، والقائد الأعلى للمخابرات العلمية ، ورئيس مركز الأبحاث ..

حادث غامض ، أصاب فيلا الدكتور (وائل شوقى) ، عالم الفيزياء والطاقة الشهير ، وأدّى إلى مقتل هذا الأخير ، وإلى إشاعة الرعب فى الحى الراقى بمدينة (السادس من أكتوبر) .

ثم انطلق (نور) وفريقه لتفقُّد الأمر ..

وبعدها بدأت سلسلة من الحوادث العنيفة الرهيبة ، مما استلزم إحاطة المدينة كلها بقبة من الطاقة الكهرومغنطيسية ، وقطع كل الاتصالات السلكية واللاسلكية عنها ، وإرسال فريق من القوات الخاصة ، برياسة العقيد (باسل بهجت) ، للسيطرة عليها ، وإعادة الأمور إلى موضعها فيها ..

والتقارير الرسمية ، تؤكِّد أن (نور) وفريقه وراء كل ما أصاب المدينة من رعب ، وفزع ..

ولكن شيئًا ما فى أعماقه يرفض تصديق هذا .. يرفضه بشدة .

منذ البداية ، وهو يشعر أن الأمور تسير على نحو غير طبيعى ..

غير طبيعى على الاطلاق ..

وربما لهذا أرسل مستشاره الأمنى الخاص ، ورجل المخابرات الفذ السابق (أمجد صبحى) ، لتفقد الأحوال هناك ..

ولكن المؤسف أنه بمجرد عبور (أمجد) لتلك القبة الكهرومغنيسية ، تنقطع اتصالاته بالعالم الخارجى تمامًا ..

وهذا يعنى أن ما يحمله من حقائق لن ينكشف إلا مع خروجه من المدينة المنكوبة ، وعودته إلى القصر الجمهورى ..

والله (سبحانه وتعالى) وحده يعلم متى وكيف يحدث هذا !!

ولم يدر رئيس الجمهورية ، وهو غارق فى أفكاره هذه ، أن الحقائق التى يجهلها تفوق ما يعلمه عنفا وخطورة ..

وربما بألف مرة ..

فذلك الانفجار ، الذى حدث فى فيلا الدكتور (وائل شوقى) لم يكن انفجارًا عاديًا ..

لقد كان نتاج تجربة فذة غير مسبوقة ، لصنع فجوة بين عالمين ..

ومن تلك الفجوة ، انطلقت فى عالمنا ظلال عجيبة .. ورهيبة ..

ظلال احتلت أجساد البشر ، الأحياء والموتى ودفعتهم إلى القيام بأفعال مخيفة ..

مخيفة إلى حدّ لا يمكن وصفه ..

ولكن حتى هذا الرعب لم يكن مشكلة (نور) وفريقه الوحيدة ..

لقد فوجئوا بسلوك عدوانى عنيف ، من العقيد (باسل) ورجاله ، إلى حد اعتبارهم أعداء ، ينبغى القضاء عليهم ..

حتى (مشيرة) ، وفريق التصوير التابع لها ، لم يسلموا من عنف العقيد (باسل) وقسوته ..

ولسبب ما ، انقلبت الدنيا كلها على (نور) وفريقه ..

وعلى المدينة المنكوبة كلها ..

جرائم قتل وعنف ، وترويع للآمنين ، ارتكبت فى تلك المدينة ، خلال ساعات محدودة ..

بل وبلغ الأمر محاولة إعدام (نور) وفريقه أيضًا ..

كل هذا دفع (نور) إلى التفكير فيما يدور من حوله ..

فى طبيعة تلك الظلال ..

وقوتها ..

وهدفها ..

بل وفى موقف جهاز المخابرات العلمية ، والدولة كلها ، منه ومن فريقه ..

كان هناك حتمًا لغز عجيب ، يختفى وراء كل هذا ..

لغز يتعلق بجهاز المخابرات ..

والجيش ..

وإدارة البحث العلمى ..

لغز يستحق إخفاؤه ارتكاب كل هذه الجرائم ..

وكان على (نور) وفريقه أن يبذلوا قصارى جهدهم ، لحل ذلك اللغز ..

ولتحقيق الهدف الأوّل لوجودهم ..

الكشف ..

كشف الحقيقة ..

مهما كان الثمن ..

ولكن حماسهم هذا كانت تعترضه مشكلة كبرى ..

مشكلة تكمن فى أن رجال القوات الخاصة قد حاصروهم داخل مستشفى (السادس من أكتوبر) ..

وكان على (نور) أن يتخذ قرارًا حاسمًا رهيبًا ، خلال ثوان ثلاث فحسب ..

إما حياته ، أو حياة رفاقه ..

ولم يكن من السهل عليه أن يتخذ هذا القرار ..

لم يكن من السهل أبدًا(*) ..

كل هذا كان يجهله رئيس الجمهورية ، وهو يقف فى شرفة القصر الجمهورى ، وعقله يعيد دراسة الموقف ألف مرة ..

« معذرة يا فخامة الرئيس .. »

انتزعه صوت كبير السعاة من أفكاره ، فالتفت إليه ، متسائلاً :

ـ ماذا هناك يا (كارم) ؟!

أجابه الرجل ، وهو يمدّ يده إليه بمظروف كبير :

ـ لقد وصل هذا على الفور .

اختطف رئيس الجمهورية المظروف من يده ، وفضّه فى سرعة ، وراح يقرأ التقرير المشترك داخله

(*) لمزيد من التفاصيل ، راجع الجزأين ، الأوّل والثانى ، (المجهول) ، و(الظلال الرهيبة) .. المغامرتين رقمى (١٢١) ، و(١٢٢) .

فى اهتمام بالغ ، قبل أن ينعقد حاجباه فى شدة ، ويتمتم فى عصبية :

ـ نفس الأمر السخيف يتكرر مرة أخرى .. تفاصيل فرعية كثيرة ، دون معلومة واحدة حاسمة أو مفيدة .

كان يبدو محنقًا ، ساخطًا ، عصبيًا ، وهو يراجع التقرير مرة أخرى ، قبل أن يلقيه جانبًا ، وهو يهتف :

ـ هناك شىء ما .. شىء يخفيه الجميع عنى لسبب ما .. شىء لا يمكننى فهمه أو استيعابه .

بدا كبير السعاة أكثر تعاطفًا ، وهو يقول :

ـ فخامة الرئيس .. لماذا تقتل نفسك على هذا النحو ؟! ما وظيفة معاونيك ومستشاريك إذن ؟!

هز الرئيس رأسه ، قائلاً فى توتر :

ـ فى الظروف الحالية ، لا يمكنك أن تمنح ثقتك لأحد فى سهولة يا رجل ، وليس من السهل أن تجرى اتصالاتك إلا مع الـ ...

بتر عبارته بغتة ، وانعقد حاجباه فى شدة ، وهو يهتف :

ـ رباه ! الاتصالات !!

سأله كبير السعاة فى قلق :

ـ ماذا هناك يا سيادة الرئيس :

ـ أشار الرئيس بيده فى توتر بالغ ، وهو يلتقط التقرير مرة أخرى ، قائلاً :

ـ تلك المعلومات الجديدة ، التى وردت فى التقرير المشترك .. من أين حصل عليها أصحابه ؟!

بدت الحيرة على وجه الرجل ، وهو يتمتم :

ـ ماذا تعنى يا فخامة الرئيس ؟!

تابع الرئيس ، على نحو يؤكد أنه لم ينتبه إلى عبارة كبير سعاته ، وأنه يفكر بصوت مسموع فحسب :

ـ هناك وسيلة اتصال ، بينهم وبين رجالهم داخل المدينة ! هناك وسيلة ما حتمًا !

وازداد انعقاد حاجبيه ، وهو يفكر فى الأمر أكثر ..

وأكثر ..

وأكثر ..

ثم غمغم فى عصبية أكبر :

ـ من الواضح أنهم يخفون الكثير .. الكثير جدًا ..

قالها ، والتفت إلى كبير السعاة ، قائلاً بلهجة آمرة :

ـ اسمعنى جيدًا يا (كارم) .. أريد منك أن تحضر اللواء (سليمان) .

حدَّق الرجل فى وجهه بدهشة ، مغمغمًا :

ـ اللواء (سليمان) من ؟!

أجابه الرئيس فى حزم :

ـ اللواء (سليمان حازم) .. قائد الحرس الجمهورى .. اذهب لإحضاره على الفور .

قال الرجل ، فى دهشة أكبر :

ـ الآن ؟! فى هذه الساعة ؟!

لوَّح الرئيس بيده ، قائلاً :

ـ لا قيمة للوقت الآن يا رجل .. أيقظه بأية وسيلة .. المهم أن يحضر إلى هنا بأقصى سرعة ، دون أن يخبر أحدًا ، أو يصطحب أيًا من معاونيه .. هل تفهم ؟! السرية المطلقة ضرورة حتمية الآن يا رجل .

خفق قلب كبير السعاة فى شدة ، وأدرك أن أمرًا جللاً فى الطريق ، وامتلأ كيانه كله بالفخر ؛ لأن الرئيس قد أولاه ثقته المطلقة ، فى ظروف كهذه ، فشدَّ قامته ، وقال فى حزم بالغ :

ـ اطمئن يا فخامة الرئيس .. كل شىء سيسير وفقًا لأوامرك .. اطمئن .

قالها ، وانطلق لتنفيذ الأمر ، بكل حزم وحماس الدنيا ، تاركًا رئيس الجمهورية خلفه ، وهو يعيد التفكير فى الأمر ، والقلق الذى يملأ كيانه يتضاعف ..

ويتضاعف ..

ويتضاعف ..

هذا لأن ذلك الهاجس فى أعماقه ، كان يؤكِّد له مرة أخرى أنه هناك مواجهة قادمة فى الطريق ..

مواجهة حاسمة ..

وخطيرة ..

للغاية ..

★ ★ ★

بكل كيانها ، انطلقت (مشيرة) تعدو ، خلف سيارة العقيد (باسل) ، التى تحمل (أمجد صبحى) ، المستشار الأمنى الخاص لرئيس الجمهورية ..

لم تكن تعرف هويته بالضبط ، ولكنها أدركت ، من رجلى الحرس الجمهورى اللذين يصحبانه ، ومن اهتمام (باسل) البالغ به ، أنه مندوب فوق العادة ، من مؤسسة الرياسة نفسها ، يتفقَّد الأمور فى المدينة ، التى انقلب أمنها رأسًا على عقب ، منذ مغيب الشمس ..

ثم إن شيئًا ما ، فى أعماقها وكيانها ، وفى خبراتها الصحفية السابقة ، أنبأها أن الحل كله يكمن فى يد هذا الرجل ..

فى مندوب رئيس الجمهورية ..

ولكن فجأة ، برز ذلك الجندى ، وهو يهتف فى صرامة :

ـ توقَّفى يا سيِّدتى .

وما إن أكمل عبارته ، حتى رفع فوهة مدفعه الليزرى نحوها ، فى عدوانية شرسة ، و ...

وانطلقت أشعة الليزر ..

القاتلة ..

ومع الدماء التى تفجَّرت ، انتفض جسد (مشيرة) فى عنف ، وانطلقت من حلقها شهقة قوية ، وهى تحدِّق فى وجه (هيثم) ، الذى بدت ملامحه صارمة مخيفة ، على نحو عجيب ، وهو يمسك مسدسًا ليزريًّا قويًّا ، ويتطلَّع إلى جندى الصاعقة ، الذى اتسعت عيناه عن آخرهما ، والدماء تتدفَّق من صدره فى غزارة ، قبل أن يسقط جثة هامدة ..

وفى ذهول مذعور ، هتفت (مشيرة) :

ـ ربَّاه ! لقد قتلته يا (هيثم) .

التفت إليها الصبى فى برود عجيب ، وهو يقول :

ـ هل كنت تفضلين أن يقتلك هو ؟!

أدهشها جوابه ، وأسلوبه البارد الصارم ، الذى لا يتناسب قط مع عمره وطبيعته ، فتقدَّمت منه فى حذر ، وقد نسيت كل ما يتعلَّق بمندوب رياسة الجمهورية ، الذى اختفت به سيارة (باسل) (الجيب) ، وسط شوارع الحى ، وقالت فى قلق :

ـ من أين حصلت على المسدس ؟! وكيف ؟!

أجابها بنفس البرود الصارم ، وهو يشير بالمسدس إلى فيلا الدكتور (وائل) :

ـ كان ملقى هناك .

مدَّت يدها إليه ، قائلة :

ـ أعطنى إياه .

كانت تتوقَّع مقاومة عنيفة ، أو رد فعل عصبى صارم ، إلا أنها فوجئت به يناولها المسدس فى هدوء ، دون أن ينبس ببنت شفة ..

وفى نفس اللحظة ، التى أطبقت فيها أصابعها على المسدس ، ظهر الأستاذ (حسن) ، وهو يهتف فى توتر :

- أسرعا إلى المنزل ، قبل أن تتعقَّد الأمور أكثر .

التفت إليه (هيثم) بنظرة باردة ، فى حين قالت (مشيرة) فى عصبية :

- لقد تعقَّدت بالفعل .. (هيثم) قتل الجندى .

أجابها الأستاذ (حسن) فى حزم عصبى :

- لقد رأيت كل شىء ... هيا عودا إلى المنزل ، قبل أن يظهر جندى آخر .

أشارت إلى جثة الجندى ؛ قائلة :

- وماذا عنه ؟!

مطَّ شفتيه ، قائلاً :

- سأتدبَّر أمره .

ثم داعب شعر (هيثم) فى حنان ، مستطردًا :

- لا تقلق يا بنى .. لا تقلق أبدًا .. لن يؤذيك أحد ، وأنا على قيد الحياة .

رفع (هيثم) عينيه إليه فى بطء ، وتطلَّع إلى وجهه لحظة ، قبل أن يمدَّ يده إلى (مشيرة) ، قائلاً :

- هيا بنا .

التقطت (مشيرة) يده فى سرعة ، واندفعت معه

نحو المنزل ، فى حين جذب الأستاذ (حسن) جثة الجندى القتيل ، مغمغمًا فى عصبية :

- السيِّدة (مشيرة) على حق .. لقد تعقَّدت الأمور أكثر وأكثر بالفعل .

أما زوجة الأستاذ (حسن) ، فلم تكد تلمح (هيثم) ، حتى اندفعت نحوه ، واحتوته بين ذراعيها ، بكل لهفة الدنيا ، هاتفة :

- (هيثم) !! حمدًا لله على سلامتك يا بنى .. حمدًا لله .

تطلَّع الصبى إليها بلا انفعال ، مغمغمًا :

- أشكرك يا سيِّدتى .. أشكرك كثيرًا .

تراجعت السيِّدة لحظة ، وحدَّقت فى وجهه ، قبل أن تضمَّه إليها مرة أخرى ، قائلة فى لوعة :

- يا للصبى المسكين ! إنه مصاب بانهيار عصبى .

تمتمت (مشيرة) فى إشفاق :

- لقد عانى الكثير .

التفت إليها الصبى بحركة حادة ، وتطلَّع إلى عينيها مباشرة ، على نحو سرت معه قشعريرة باردة فى جسدها ، وقد خُيِّل إليها أنه يغوص فى أعماقها ،

ويسبر أغوارها بنظرته الحادة ، فارتبكت ، متمتمة :

ـ ماذا هناك يا (هيثم) ؟!

قبل أن يجيب الصبى ، اندفع الأستاذ (حسن) إلى المنزل ، وأغلق بابه خلفه فى سرعة ، وهو يلهث ، قائلاً :

ـ لقد أخفيت الأمر .. مؤقتًا .

قال (هيثم) بنفس البرود الصارم المخيف :

ـ سيكشفون غيابه ، خلال ساعة واحدة على الأكثر .

شعر الأستاذ (حسن) بالدهشة لأسلوبه هذا ، ولكنه عزاه إلى ما واجهه من صدمات عنيفة فى تلك الليلة ، وبخاصة مصرع والديه ، فتجاهل الموقف كله ، وهو يقول فى حزم :

ـ لا تقلق أبدًا أيها الصبى .

قال (هيثم) فى صرامة :

ـ اسمى (هيثم) .

داعب (حسن) رأسه فى حنان ، متمتمًا :

ـ فليكن .. لا تقلق أبدًا يا (هيثم) .. قلت لك : إن أحدًا لن يسىء إليك ما دمت أنا على قيد الحياة .

تطلّع إليه (هيثم) لحظة فى صمت ، دون أن يحمل وجهه أية انفعالات ، ثم لم يلبث أن التفت فجأة إلى (مشيرة) ، متسائلاً :

ـ لقد صنعت نسخة من ذلك الشريط .. أليس كذلك ؟!

بدت الدهشة على وجوه الجميع ، وتبادلوا نظرة متوترة للغاية ، قبل أن تجيب (مشيرة) :

ـ بلى .. لقد فعلت .

رفع الصبى سبّابته ، قائلاً فى حزم :

ـ لا بد أن تصل تلك النسخة إلى المقدّم (نور الدين) ، بأى ثمن .

تبادل الثلاثة نظرة دهشة أكثر توترًا ، قبل أن يسأله الأستاذ (حسن) :

ـ هل تعرف المقدّم (نور) ؟!

تجاهله الصبى تمامًا ، وكأنه لم يسمعه ، وهو يقول لـ (مشيرة) :

ـ هل تفهمين ! لا بد أن يطالع فريقه ما حدث ، مهما كانت الظروف .

ازدردت (مشيرة) لعابها فى صعوبة ، وهى تتمتم :

ـ وكيف يمكننى الوصول إلى (نور) الآن ؟!

صمت (هيثم) بضع لحظات ، وكأنما يدير الأمر فى رأسه ، قبل أن يجيب فى حزم شديد ، وبصوت عميق ، بدا وكأنه يتصاعد من أعماق بئر سحيقة :

ـ ربّما أمكنه هو الوصول إليك !

اتسعت عيناها ، وعينا الأستاذ (حسن) وزوجته ، وثلاثتهم يحدقون فى الصبى ، الذى أدار عينيه فى بطء إلى النافذة ، متمتمًا :

ـ ربّما .

ثم اتجه نحوها ، وراح يتطلّع عبرها إلى فيلا الدكتور (وائل) فى اهتمام صامت ، دون أن تصدر عنه أدنى حركة ..

وفى صمت حذر ، تمتم الأستاذ (حسن) :

ـ ماذا دهاه !

غمغمت زوجته ، وهى تضع يدها على صدرها فى ارتياع :

ـ إنه يبدو مختلفًا .

ثم شهقت من فرط انفعالها ، قبل أن تضيف بصوت مرتجف :

ـ مختلفًا تمامًا .

اتسعت عينا الأستاذ (حسن) أكثر وأكثر ، وهو يستعيد فى هلع كلمات الدكتور (وائل) الأخيرة ..

« إنهم هنا .. »

أما (مشيرة) ، فقد واصلت التحديق فى الصبى ، وهى تتساءل فى أعماقها : ما الذى أصابه ؟!

أهى صدمة عصبية ، من جراء كل ما تعرَّض له الليلة ؟!

أم هو أمر آخر ؟!

من المؤكَّد أنه ليس من السهل أبدًا ، على صبى فى مثل عمره ، مهما بلغ ذكاؤه وبلغت عبقريته ، أن يحتمل رؤية والديه ، وهما يلقيان مصرعهما أمام عينيه !!

هذا كفيل بتحطيمه حتمًا ..

ولكن كيف علم بأمر نسخة الشريط ؟!

ولماذا الإصرار على إيصالها إلى (نور) ؟!

وبأى ثمن !

ثم ، وهذا هو الأهم .. أين (نور) الآن ؟!

أين ؟!

لم تدر ، ولم يدر الأستاذ (حسن) وزوجته ، أنهم فى نفس اللحظة ، التى يتطلعون فيها إلى الصبى ، كان هو يتطلع فى اهتمام بالغ ، إلى فيلا الدكتور (وائل شوقى) ، وعيناه تبرقان ببريق عجيب ..

بريق أحمر ..

رهيب ..

★ ★ ★



٢ـ الحصار ..

« إننى أعرض عليك صفقة ، لا تقبل الجدل أو المساومة .. صفقة تتناسب مع طبيعتك تمامًا .. »

هتف قائد مجموعة الصاعقة بالعبارة ، بصوت قوى صارم ، عبر المكبرات المنتشرة فى المستشفى ، والتى بلغ دويها مسامع (نور) و(أكرم) و(سلوى) و(نشوى) ، فى حجرة حفظ الموتى ، فى قبو مستشفى (السادس من أكتوبر) ، فسرى فى أجسادهم توتر عنيف ، والرجل يتابع بنفس القوة والصرامة :

ـ حياتك مقابل حياة الباقين .. استسلم ، وسنطلق سراحهم جميعًا .. لا تضع الوقت فى التفكير ، فكل ما أمنحك إياه هو ثلاث ثوان فحسب ، وبعدها سأنسف رأسى زميلك ، وهذا الطبيب الشرعى ..

وبصوت أكثر قوة ، بدأ العد التنازلى مباشرة :

ـ واحد ..

وانعقد حاجبا (نور) فى شدَة ، وهو يلعن المسئول عن هذا الموقف الرهيب ..

المسئول عن وضعه فى مساومة ، تحمل فى طرفيها نهاية حياة ..

حياة رفاقه ..

أو حياته ..

وقبل حتى أن ينتقل العد إلى الثانية التالية ، حسم (نور) أمره ، وهتف فى حزم :

ـ إننى أقبل عرضك .

هتف (أكرم) :

ـ لا يا (نور) .. فلنمت جميعًا ، أو نحيا جميعًا .

أشار إليه (نور) فى صرامة ، وهو يهتف :

ـ أطلق سراحهما ، وسأسلمك نفسى ، عندما يغادر الباقون المستشفى فى سلام .

نقلت مكبرات الصوت ضحكة ساخرة ، أطلقها قائد مجموعة الصاعقة ، قبل أن يقول :

ـ من الواضح أنك لم تستوعب الأمر بعد يا سيِّد (نور) .. لست فى موقف يسمح لك بفرض أية شروط .. إننا نحاصر المستشفى بالفعل ، وعرضنا

هذا هو أكثر العروض كرمًا ، فى مثل هذه الظروف .. اقبله أو ارفضه ، ولكن لا تحاول المساومة لحظة واحدة ، وإلا سحبنا عرضنا فورًا .

هتف (أكرم) مرة أخرى ، وهو يمسك مدفعه الليزرى فى قوة :

ـ اسمع يا (نور) .. لن نسمح لك أبدًا بالتضحية من أجلنا ، أو ....

قاطعته (سلوى) فجأة :

ـ دعه ينفذ ما يطلبون يا (أكرم) .

التفت إليها (أكرم) فى دهشة بالغة مستنكرة ، وهتف :

ـ (سلوى) .. ماذا تقولين ؟!

رآها تجذب الكمبيوتر الصغير من يد (نشوى) ، وتحلَّ الأسلاك ، التى توصله بخزانة الأسطوانات المدمجة الإليكترونية ، وهى تقول فى حزم :

ـ أقول ما سمعته يا (أكرم) .. هيا .. امنحنى سلكين يتصلان بدائرة مكبرات الصوت .. أسرع .

لم يفهم (أكرم) ما تعنيه ، ولكنه رأى (نشوى) تتحرَك فى سرعة لمساعدة أمها ، فقفز بدوره يبحث

عما طلبته ، فى حين تبادل (نـور) معها نظرة سريعة ، قالت بعدها فى انفعال :

- أحتاج إلى عشرين ثانية فحسب يا (نور) .

غمغم (نور) ، وقد بدا وكأنه الوحيد ، الذى فهم ما ترمى إليه :

- بالتأكيد .

ثم استدار يهتف عبر الممر :

- أريد دليلاً واحدًا على الأقل ، يثبت لى أن (رمزى) والدكتور (حجازى) سالمين .

أجابه قائد المجموعة فى صرامة :

- لا أدلة .. كلمتى هى الشىء الوحيد الذى تملكه ، وهذا لا ينطبق على الوقت ، فمشكلتى أن صبرى ينفد بسرعة كبيرة ، وعندما أفقده ، تنطلق الأشعة من مدفعى ؛ لتنسف الرءوس بلا رحمة .

كان (أكرم) ينتزع بعض الأسلاك الكهربية ، فى تلك اللحظة ، من جهاز تبريد قديم فى الحجرة ، ويهرع بها إلى (سلوى) ، التى تجرى أصابعها على أزرار الكمبيوتر فى سرعة وانفعال ، فى حين راحت (نشوى) تكشف أحد مكبرات الصوت ، المختفية فى

جدار الحجرة ، فالتفت إليهم (نور) بنظرة متسائلة ، أجابتها (سلوى) ، هاتفة :

- عشر ثوان فحسب يا (نور) .. امنحنى عشر ثوان فحسب ، وسنربح هذه المواجهة بإذن الله (العلى القدير) .. امنحنى ثقتك .

تنهَّد ، مغمغمًا :

- حسن يا حبيبتى .. سأمنحك كل ثقتى .

ثم عاد يستدير ، هاتفًا :

- أنا قادم .

شهقت (سلوى) ، وانتفض جسد (نشوى) ، وهتف (أكرم) بكلمة مستنكرة ، وثلاثتهم يلتفتون إليه بحركة حادة ، فشدَّ قامته ، وابتسم ابتسامة باهتة ، وهو يقول :

- هذه هى الوسيلة الوحيدة ، لإضاعة الوقت المطلوب .

واستقرَّت عيناه على عينى زوجته ، وهو يضيف :

- ثم إننى أثق تمامًا ببراعتك .

- قالها ، وغادر الحجرة ، ليسير فى الممر ، متعمدًا أن يعلو وقع قدميه فى وضوح ، فهتف (أكرم) فى حدة :



واستعاد مرة أخرى شعوره الدائم بأنه الوحيد فى الفريق ، الذى لا يفهم تلك الأمور العلمية ..

ـ اللعنة !

ثم قفز يوصل الأسلاك بمكبِّر الصوت ، وهو يتساءل فى عصبية :

ـ ماذا ستفعلين بالله عليك ؟!

أجابته ، وأصابعها تواصل العمل ، على أزرار الكمبيوتر الصغير جدًا ، فى سرعة وعصبية زائدتين :

ـ إنهم يحيطون أجسادهم بتلك الهالات الكهرومغنطيسية ، ذات الوهج الأخضر .

قال فى حدة :

ـ وماذا فى هذا ؟!

أجابته فى توتر زائد :

ـ سنحاول استغلال هذا .

ثم انعقد حاجباها فى شدة ، مستطردة :

ـ لصالحنا .

حدَّق فيها بدهشة بالغة ، واستعاد مرة أخرى شعوره الدائم بأنه الوحيد فى الفريق ، الذى لا يفهم تلك الأمور العلمية ..

لا يفهمها قط ..

أما (نور) ، فقد عبر الممر فى خطوات هادئة ،

حتى بلغ نهايته ، ولم يكد يدور عندها ، ليلتقى بالسلم ، حتى ارتفعت فوهات المدافع الليزرية فى وجهه ، وتألقت عينا قائد مجموعة الصاعقة ، وهو يقول فى ظفر :

ـ أعتقد أنه لم يكن أمامك سوى الخضوع للعرض يا سيِّد (نور) .

أجابه (نور) فى صرامة عسكرية :

ـ اسمى المقدَّم (نور) أيها النقيب :

هزَّ الرجل رأسه ، وصوَّب مدفعه إلى رأس (نور) فى إحكام ، وهو يقول :

ـ لن يصنع هذا فارقًا الآن .

انعقد حاجبا (نور) ، وهو يدير بصره فى الرجال ، الذين يصوبون إليه مدافعهم الليزرية فى تحفز ، وذلك الوهج الأخضر ، المحيط بأجسادهم ، يمنحهم مظهرًا مخيفًا ، ثم سأل فى صرامة :

ـ أين (رمزى) والدكتور (حجازى) ؟!

أجابه الرجل فى شىء من السخرية :

ـ هذا أيضًا لن يصنع فارقًا الآن .

قالها ، وأشار بيده ، فتحركت سبابات الجميع فى

آن واحد ، واتجهت فوهات مدافع الليزر نحو (نور) ، و ...

ولم يعد هناك مفر من الموت ..

أبدًا ..

★ ★ ★

على الرغم من أن كل شىء رآه المستشار الأمنى لرئيس الجمهورية ، كان يوحى بأن الأمور تسير بالفعل ، كما شرحها العقيد (باسل) تمامًا ، إلا أن شيئًا ما فى أعماق (أمجد صبحى) ، لم يكن يشعر بالارتياح أبدًا ..

وهو لا يدرى حتى سبب هذا !!

لقد شاهد كل شىء بعينيه ..

الفيلا ، التى بدأ عندها الأمر ..

وتلك التى دمرها فريق (نور) ..

وحالة الذعر والارتياع ، التى تسيطر على سكان المدينة ..

لماذا إذن لا يشعر بالارتياح أو الاطمئنان ؟!

أهو شىء رآه أو سمعه ؟!

أم هى خبرة قديمة ، نمت وتطورت ، منذ عمله فى المخابرات العامة ، حتى بلغ ما بلغه ؟!

المهم أنه لا يشعر بالارتياح أبدًا ..
« مستحيل ! »
انطلقت الكلمة من بين شفتيه ، من شدة توتره وحيرته ، فالتفت إليه العقيد (باسل) ، متسائلاً :
ـ ما هو المستحيل يا سيادة المستشار ؟!
هزَّ (أمجد) رأسه ، قائلاً :
ـ لا يمكنني أن أصدِّق قط أن يفعل (نور) ورفاقه هذا .
بدا (باسل) شديد الحذر ، وهو يقول :
ـ ولكنهم فعلوها يا سيادة المستشار .
ثم أشار بيده ، مستطردًا :
ـ لقد رأيت بنفسك .
هزَّ (أمجد) رأسه مرة أخرى فى حزم ، وهو يقول :
ـ فى عملى ، لا يعدّ ما رأيته دليلاً على أى شىء .
تضاعف حذر (باسل) ، وامتزج بكثير من التوتر ، وهو يقول :
ـ كيف يا سيادة المستشار ؟! لقد رأيت آثار الاعتداءات بنفسك .

أشار (أمجد) بسبَّابته ، مجيبًا :
ـ ولكننى لم أر الاعتداءات نفسها .
قال (باسل) ، فى شىء من الحدة :
ـ هذا أمر طبيعى ، ففى كل جريمة ، لم يتمَّ ضبط الجانى فى أثناء ارتكابها ، لا نجد أمامنا سوى آثار الاعتداءات فحسب .
أجابه (أمجد) :
ـ ولكن يوجد دائمًا ما نطلق عليه اسم (الأدلَّة الظرفية) ، وهذا ما أفتقده هنا .
سأله (باسل) ، وقد تضاعف توتره :
ـ وما تلك الأدلة الظرفية ؟!
أجابه (أمجد) ، وهو يشير بيديه :
ـ إنها تلك الظروف والملابسات ، والأحداث غير المباشرة ، التى تؤيِّد قيام شخص ما بارتكاب فعل محدود .. وهى تختلف عن الأدلة المادية ، فى كونها أمور لا يمكن الاحتفاظ بها أو تحريرها .
هتف (باسل) فى لهفة :
ـ عظيم .. هذا ينطبق أيضًا على شهادة الشهود .. أليس كذلك ؟!

هزَّ (أمجد) رأسه نفيًا ، وقال :

- حتى شهادة الشهود لا يمكن أن يعتدّ بها ، ما لم تؤيدها أدلة مادية أو ظرفية .

وصمت بضع لحظات ، ارتسمت على وجهه خلالها علامات التفكير العميق ، قبل أن يقول فى بطء :

- وهذا ما تفتقر إليه الأمور هنا .

سأله (باسل) فى عصبية :

- لماذا تعتقد هذا ؟!

تطلع إليه (أمجد) مباشرة ، وهو يقول بنفس البطء :

- لأنك ورجالك أكدتم أن (نور) ورفاقه هم المسئولون عن قتل اثنين من سكان الحى ، رجل وزوجته ، وإحراق منزلهم ، وعلى الرغم من أن هذا يحتاج إلى بعض الوقت ، ومن أن تلك الفيلا ، التى يفترض حرقهم إياها ، توجد على مقربة من فيلا الدكتور (وائل شوقى) ، المسئولة عن كل ما يحدث ، فإن أحدًا من رجالك لم يتواجد هناك ، لمنع (نور) ورفاقه من قتل الضحيتين ، وإحراق الفيلا .. ألا يبدو لك هذا عجيبًا بعض الشىء ؟!

صمت (باسل) لما يقرب من نصف دقيقة كاملة ، وهو يتطلع إلى عينى المستشار الأمنى مباشرة ، قبل أن يقول فى بطء .

- كلاً .. إنه لا يبدو كذلك على الإطلاق ؛ لأن (نور) وفريقه فعلوا هذا ، قبل وصولنا إلى هنا .

تألقت عينا (أمجد) ، وهو يقول :

- حقًا ؟!

تراجع (باسل) فى بطء ، وهو يجيب :

- نعم .. حقًا يا سيادة المستشار .

ارتسمت ابتسامة ظافرة على شفتى (أمجد) ، وهو يقول :

- هذا أيضًا لا يتفق مع الأدلة الظرفية أيها العقيد ، فحتى اللحظة التى كنا فيها أمام تلك الفيلا ، كان دخان الحريق يتصاعد منها ، على الرغم من أن أخشاب أثاث المنزل من نوع جيد ، يمكن أن يحترق بالكامل ، خلال أربع ساعات فحسب .

تجمدت ملامح (باسل) كلها ، وهو يتراجع فى مقعده أكثر وأكثر ، قائلاً :

- هذا يحتاج إلى استشارة خبير فى الحرائق وآثارها .

أشار (أمجد) بيده ، قائلاً :
ـ هل نرسل فى طلب واحد ؟!
عضَّ (باسل) شفتيه ، وهو يقول فى عصبية :
ـ لايمكننى إقرار هذا ، دون الرجوع إلى قيادتى .
قال (أمجد) فى صرامة :
ـ قيادتك ؟! أى قول هذا أيها العقيد ؟! هل قرَّرت أن تتجاوز قواعد الضبط والربط ، والدخول معى فى مزحة سخيفة ، أم أنك تجهل بالفعل أننى أمثِّل رئيس الجمهورية شخصيًّا ، وهو بحكم القانون والدستور ، القائد الأعلى للقوات المسلَّحة ، أى قائد قيادتك ، وأوامره تجب كل ما يصدر من أوامر أخرى ؟
صمت (باسل) بضع لحظات أخرى ، قبل أن يقول فى حزم مفاجئ :
ـ ما رأيك أن نلعب بأوراق مكشوفة أيها المستشار ؟!
ابتسم (أمجد) فى سخرية ، قائلاً :
ـ ألم أقل لك : إنك قد قررت تجاوز قواعد الضبط والربط ، و ....
قاطعه (باسل) فى حدة :
ـ لقد كشفت الأمر كله .. أليس كذلك ؟!

اعتدل (أمجد) فى مقعده ، قائلاً :
ـ ما هذا بالضبط ؟! اعتراف ؟!
أشار (باسل) بيده ، مجيبًا فى صرامة :
ـ بل نهاية أيها المستشار ..
ومع إشارته ، توقَّفت سيارة (الجيب) فجأة ، والسيارة التى تتبعها ، وقفز ستة جنود من السيارتين ، صوَّبوا كلهم مدافعهم الليزرية إلى (أمجد) ، والعقيد (باسل) يكمل فى صرامة شديدة :
ـ نهايتك .
وهنا ..
هنا فقط ، فهم (أمجد) ، المستشار الأمنى الخاص لرئيس الجمهورية ، الحقيقة ..
كلها ..

★ ★ ★

« الأمور تطوَّرت ، على الرغم منا .. »
نطق وزير الدفاع العبارة ، فى صرامة عصبية ، وهو ينهى اتصاله المحمول على الليزر ، مع العقيد (باسل) ، فتبادل القائد الأعلى والدكتور (ناظم) نظرة متوترة ، قبل أن يسأله الأخير فى توتر شديد :

ـ ما التطوُّر الذى تعنيه بالضبط ؟!

مطَّ الوزير شفتيه فى صرامة ، وعقد كفيه خلف ظهره ، قبل أن يجيب :

ـ (باسل) اضطر لاعتقال المستشار الأمنى للرئيس .

اتسعت عيون الرجلين فى ارتياع مذعور ، قبل أن يهبَّ القائد الأعلى من خلف مكتبه ، صائحًا بكل غضب وثورة الدنيا :

ـ هل جننت يا رجل ؟! ألا تدرك ما الذى يعنيه هذا بالضبط ؟! إنك تعلن التمرُّد على مؤسسة الرياسة .

هتف الدكتور (ناظم) :

ـ وبمعنى أكثر وضوحًا .. أنه انقلاب عسكرى .

أجابهما الوزير فى صرامة :

ـ الأمر لم يبلغ هذا الحد بعد .

صاح القائد الأعلى :

ـ لم يبلغ ماذا ؟! لقد اعتقل رجالك واحدًا من أهم وأخطر رجال الرئيس ، وأقرب مستشاريه إليه !! ما الذى يمكن أن يبلغه الأمر أكثر من هذا ، حتى يمكن اعتباره انقلابًا عسكريًّا .

أجابه الوزير فى حدة :

ـ قلت لكما : إن الأمر لم يبلغ هذا الحد بعد .

هتف الدكتور (ناظم) :

ـ ومتى سيبلغه إذن ؟!

أجابه الوزير فى صرامة :

ـ عندما ينتهى الأمر ، دون أن نربح المعركة .

لم يفهم أحدهما عبارته ، فتبادلا نظرة شديدة التوتر ، جعلته يدرك ضرورة توضيح الموقف ، فانبرى يقول :

ـ الواقع أن موقفكما هذا يدهشنى للغاية ، فمن السذاجة أن تتصوَّرا أن ما يحدث وليد اللحظة أو الانفعال .. كلاَّ يا رئيس مركز الأبحاث ، وأيها القائد الأعلى للمخابرات العلمية ، فعلى عكسكما ، كنت أتوقَّع حدوث أمر كهذا ، منذ بدأت العملية .

ثم لوَّح بيده ، وهو يتحرَّك فى الحجرة ، متابعًا فى صرامة قاسية :

ـ والمقصود بالعملية هنا ليس حصار مدينة (السادس من أكتوبر) ، وإطلاق قبة الطوارئ القصوى الكهرومغنطيسية ، وإنما المقصود بها هو العملية الرئيسية ، التى بسببها نفعل كل هذا .

سأله الدكتور (ناظم) فى عصبية :

ـ أتقصد أنك كنت تتوقَّع حدوث ذلك الانفجار ، فى أثناء تجارب الدكتور (وائل) ؟!

هزَّ وزير الدفاع رأسه ، قائلاً :

ـ كلا ، ولكننى كنت أتوقَّع أية احتمالات أخرى .. أن يشعر الدكتور (وائل) بتأنيب الضمير ، ويعلن ما يحدث ، أو أن ينكشف أمره لسبب أو لآخر .. أو حتى أن ...

بتر عبارته بغتة ، وانعقد حاجباه فى شدة ، وكأنما لم يكن ينبغى أن يبلغ هذا الحد من حديثه ، إلا أنه لم يلبث أن استدرك فى سرعة :

ـ ولهذا وقع اختيارى على العقيد (باسل بهجت) بالذات ؛ ليتولى الأمر ، إذا ما تعقَّدت الأمور ..

والتفت إليهما ، متسائلاً فى حزم :

ـ فلماذا اخترت هذا الرجل بالذات فى رأيكما ؟!

تبادلا نظرة متوترة للغاية ، قبل أن يقول القائد الأعلى فى عصبية :

ـ الوقت لا يسمح بالألغاز والمحاورات يا رجل .

قال الوزير فى حزم :

ـ أنت على حق أيها القائد .. الوقت لا يسمح بإضاعة لحظة واحدة .

ثم شدَّ قامته ، مستطردًا :

ـ لقد وقع اختيارى عليه لسببين مهمين للغاية .. أولهما أنه رجل صارم قاسٍ ، له نزعة سادية دموية ، تجعله أكثر من يحكم سيطرته على الموقف ، ويمنع تسرُّب الحقائق من المدينة ، مهما كان الثمن .. بل هو الوحيد الذى لن يتردَّد فى إحراق المدينة كلها ، لو اقتضى الأمر ، حتى يضمن نجاحه فى مهمته .

سأله الدكتور (ناظم) :

ـ وماذا عن السبب الثانى ؟!

أجابه فى حزم :

ـ إنه السبب الأكثر أهمية ، وهو أن سجله غير مشرِّف على الإطلاق ؛ فعلى الرغم من أنه لم يفشل فى مهمة قط ، وهذا ما يبرِّر إسنادنا هذه المهمة له ، إلا أنه يوصف دائمًا بالوحشية والشراسة ، عدم احترام أية قيم أو قواعد أو تقاليد .

قال القائد الأعلى فى عصبية :

ـ وبِمَ يمكن أن يفيدنا هذا ؟!

أشار الوزير بسبابته ، قائلاً :

ـ سيفيدنا أكثر مما تتصوران أيها السيدان ؛ فكل ما حدث الآن هو أن العقيد (باسل) قد اعتقل المستشار الأمنى لرياسة الجمهورية ، ولا يوجد ما يثبت قط ، أنه قد فعل هذا بناء على أوامر مباشرة من أى منا . هتف الدكتور (ناظم) مبهورًا :

ـ ماذا تعنى ؟!

أجابه فى حزم :

ـ أعنى أنه ، من الناحية الرسمية ، لا يوجد اتصال مباشر ، بيننا وبين العقيد (باسل) ، أو بين أية نقط داخل دائرة الحصار ، وهذا يعنى أننا ، من الناحية الرسمية أيضًا ، لا نعلم ما الذى يحدث داخل مدينة (السادس من أكتوبر) بالتفصيل ، وعندما يقوم (باسل) باعتقال (أمجد صبحى) ، فهذا يمكن أن يوصف فيما بعد بأنه تمرُّد فردى ، وسنواجهه عندئذ بمنتهى الحزم والصرامة ، ونتقدَّم باعتذار رسمى للسيد (أمجد) ، ولسيادة رئيس الجمهورية ، ونلقى القبض على المسئول أيضًا .

تبادل القائد الأعلى والدكتور (ناظم) نظرة متوترة ، قبل أن يقول الأول :

ـ هل ستعتقل العقيد (باسل) ؟!

أجابه الوزير فى صرامة :

ـ وأصدر أمرًا بمحاكمته عسكريًا أيضًا .

قال الدكتور (ناظم) فى حدة :

ـ فكرة رومانسية للغاية يا رجل ، ولكنك تعلم استحالة تنفيذها ، من الناحية العملية ، فرجل مثل (باسل) لن يسمح لك بإلقاء المسئولية كلها على عاتقه ، عندما تتأزَّم الأمور ، ومن المؤكد سيعترف بالحقيقة كاملة بلا أدنى تردُّد .

ارتسمت ابتسامة قاسية على شفتى الوزير ، وهو يقول :

ـ اطمئن يا دكتور (ناظم) .. لن تصل الأمور إلى هذا الحد قط ، فمن المؤكد أن رجلاً مثل (باسل بهجت) لن يقبل بالاعتقال دون مقاومة عنيفة .. وعنيفة للغاية .

هتف القائد الأعلى :

ـ هل تعنى أن ....

قاطعه الوزير فى حزم :

ـ بالضبط .

عاد الدكتور (ناظم) والقائد الأعلى يتبادلان نظرة ارتياع ، قبل أن يغمغم الأوَّل ، وقد بلغ توتره مبلغه :

ـ لو أردت رأيى ، فمنذ بدأ هذا الكابوس ، والأمور تزداد تعقيدًا فى كل ساعة ، حتى إن أحدًا لا يمكنه التنبؤ بالنتائج النهائية .

عقد الوزير حاجبيه فى صرامة ، وهو يقول :

ـ كل شىء مدروس بمنتهى الدقة ، وكل الاحتمالات موضوعة فى الاعتبار أيها السيِّدان ..

وشرد بصره لحظة ، وهو يضيف فى حزم أكبر :

ـ كل الاحتمالات .

نطقها على نحو شعر معه الرجلان بالكثير من التوتر والقلق والخوف ..

ومن أعماقهما ، تصاعد شعور رهيب بأن الساعات القادمة ستحمل كارثة ..

كارثة بلا حدود .

★ ★ ★



٣ ـ خطوة إيجابية ..

فوهات المدافع الليزرية كلها اتجهت نحو (نور) .. وسبَّابات رجال الصاعقة تحفَّزت لإطلاق خيوط الأشعة القاتلة ، و ...

وفجأة ، انطلق من كل مكبرات الصوت بالمستشفى أزيز عجيب ..

أزيز خافت متصل ، بدا وكأنه يخترق كل شىء .. حتى الأجساد الحية ..

ثم انخفض ذلك الأزيز بغتة ..

وتلاشى ..

ومع تلاشيه ، توهَّجت تلك الهالات الخضراء ، المحيطة بأجساد رجال الصاعقة ..

توهَّجت أكثر ..

وأكثر ..

وأكثر ..

وأمام عينى (نور) ، انتفضت أجسادهم فى عنف ..

وانطلقت من حلوقهم صرخة ألم مذعورة ..
واتسعت عيونهم عن آخرها ..
ثم سقطوا أرضًا ..
كل رجال الصاعقة فقدوا وعيهم فى آن واحد ، وانهار كيانهم دفعة واحدة ، وتهاوت أجسادهم عند قدمى (نور) ..
وفى نفس اللحظة ، سمع (نور) دوى انفجار محدود مكتوم ، من نهاية الممر ، فهتف فى هلع ، وهو يعدو بكل قوته ، عائدًا إلى حجرة حفظ الموتى :
- يا إلهى ! (سلوى) .
قبل أن يبلغ الحجرة ، اندفع منها (أكرم) ، وهتف فور رؤيته :
- (نور) .. أأنت بخير ؟!
أجابه (نور) فى لهفة :
- بالتأكيد ، ولكن ماذا عن (سلوى) ؟!
أتاه صوت من داخل الحجرة ، يهتف :
- أنا بخير يا (نور) .. اطمئن .
وثب إلى الحجرة ، ورآها بين ذراعى (نشوى) ، التى هتفت ، وهى تربت على أمها فى حنان مشفق :

- الكبيوتر الصغير جدًا لم يحتمل ، وانفجر عندما بلغت الذبذبة الحدَ المطلوب .
قال (أكرم) فى عصبية :
- عظيم .. ما دمنا قد بدأنا فى إطلاق المصطلحات العلمية ، فهل لى أن أعلم ماذا فعلتم بالضبط ؟!
أشار إليه (نور) ، قائلا :
- اصحبنى لنطمئن على (رمزى) والدكتور (حجازى) ، وسأشرح لك كل شىء فى الطريق .
أسرع (أكرم) إلى جواره ، عبر ممر القبو ، و(نور) يقول :
- تلك الهالة الخضراء ، التى كانت تحيط بأجساد رجال الصاعقة ، هى نفس ما يحيط بالمدينة كلها .. غلاف كهرومغنطيسى ، مهمته حماية أجسادهم من اقتحام تلك الظلال لها .
هتف (أكرم) :
- هذا يؤكد نظريتك حول كونهم يعلمون .
أجابه (نور) فى حزم :
- لم يعد لدى أدنى شك فى هذا .
كانا قد بلغا السلم ، فى تلك اللحظة ، فاتسعت عينا

(أكرم) فى دهشة ، وهو يحدِّق فى الرجال فاقدى الوعى ، وهتف :

- ربَّاه ! هل فعلت (سلوى) هذا ؟!

أومأ (نور) برأسه إيجابًا ، وقال ، وهو يصعد فى درجات السلم فى سرعة :

- نعم .. لقد جعلت مكبرات الصوت تطلق ذبذبة بالغة القصر ، ذات تردُّد خاص جدًّا ، أدى إلى مضاعفة قوة الغلاف الكهرومغنطيسى ، على نحو مباغت ، مما أصاب هؤلاء الرجال بصدمة مباغتة .

ردَّد (أكرم) فى دهشة ، وهو يتبعه :

- صدمة ؟!

أجابه (نور) :

- نعم .. شىء أشبه بالصدمة الكهربية ، مما أفقدهم الوعى مؤقتًا .

هتف (أكرم) ، وهو يلوِّح بمدفعه :

- إنها فرصة نادرة ، للتخلص منهم جميعًا .

انعقد حاجبا (نور) ، وهو يقول فى صرامة :

- ما كنت لأفعلها ، حتى مع أعدى أعدائى ؛ فما بالك برجالنا ؟!

هتف (أكرم) :

- رجالنا ؟! هؤلاء الرجال يسعون لقتلنا منذ البداية يا (نور) .

أجابه (نور) فى حزم :

- إنهم ينفذون ما تلقوه من أوامر فحسب يا (أكرم) .

قال (أكرم) فى سخرية عصبية :

- هل تعتقد أن هذا يصنع فارقًا ، بالنسبة لمن يلقى مصرعه منا ؟!

أجابه (نور) ، فى صرامة أكثر :

- هؤلاء الرجال فاقدو الوعى ، ولن نمسَّهم بسوء .

هتف (أكرم) فى حدة :

- وأنا لن أخاطر بعودتهم إلى وعيهم ، ومطاردتهم لنا مرة أخرى .

قبل أن يعلِّق (نور) على عبارته ، وقع بصره على (رمزى) والدكتور (حجازى) ، والأخير يفحص فى اهتمام أحد ثلاثة من رجال الصاعقة ، سقوا فاقدى الوعى إلى جوارهما ، فهتف فى حرارة :

- (رمزى) .. دكتور (حجازى) .. حمدًا للَّه على سلامتكما .

هتف به (رمزى) ، والحيرة تملأ وجهه :

- ماذا حدث بالضبط يا (نور) ؟! هؤلاء الرجال احتجزونا هنا ، ثم فوجئنا بهم يتساقطون فجأة كالذباب ، دون أن يمسّهم أحد .

لوّح (نور) بيده ، قائلاً :

- إنها واحدة من لمحات (سلوى) العبقرية .

ثم أشار بيده ، مستطردًا فى حزم :

- والآن هيا بنا .. لا بد أن نتحرّك بأقصى سرعة .

قال (أكرم) فى حزم :

- ليس قبل أن نحكم وثاق هؤلاء الرجال .

أجابه (نور) فى توتر :

- سيستغرق هذا نصف الساعة على الأقل ، والله (سبحانه وتعالى) وحده يعلم ، ما الذى يمكن أن يحدث ، فى وقت كهذا .

تدخّل أحد العاملين بالمستشفى ، قائلاً فى حماس :

- اتركوا لنا هذه المهمة ، ولا تضيّعوا وقتكم ؛ فسيسعدنا أن نفعل هذا ، بعد كل ما لقيناه الليلة .

تبادل الجميع نظرة سريعة ، قبل أن يقول (أكرم) :

- فقط إذا وعدت بأن القيود ستؤلمهم للغاية .

قال (نور) فى غضب :

- للمرة الأخيرة أذكرك أنهم رجالنا .

زفر (أكرم) ، وقال :

- فليكن .. دعها تؤلمهم قليلاً .

همّ (نور) بقول شىء آخر ، فاستطرد (أكرم) فى حدة :

- لن تكون القيود متينة ، ما لم تؤلمهم بعض الشىء .. ثم إنهم رجال صاعقة .. أليس كذلك ؟!

رمقه (نور) بنظرة ضيق ، ثم أشار إلى (رمزى) والدكتور (حجازى) ، قائلاً :

- هيا بنا .

انطلق أربعتهم عائدين إلى حجرة حفظ الموتى ، والدكتور (حجازى) يقول لاهثًا :

- من حسن الحظ أن أطباء جراحة الطوارئ ما زالوا يعملون ، وسيتولون أمر ذلك الضابط الشجاع .. أعتقد أنهم سينجحون فى إنقاذه ، ما دام الله (سبحانه وتعالى) قد كتب له النجاة ، على الرغم من كل ما أصابه .

غمغم (نور) :

ـ للّه فى خلقه شئون .

لهث الدكتور (حجازى) بشدة ، وهو يقول :

ـ بالتأكيد .

ثم عاد يسأله فى اهتمام :

ـ قل لى يا (نور) .. هل فعلت (سلوى) هذا بجهاز الكمبيوتر الصغير ؟!

أجابه (نور) بإيماءة رأس ، ثم أضاف :

ـ المؤسف أنه لم يحتمل كل هذا .

ابتسم الدكتور (حجازى) ، قائلاً :

ـ يكفيه فخرًا أن أنقذ حياتنا جميعًا .

بلغوا الحجرة ، فى تلك اللحظة ، فقال (نور) بحزم القائد ، وهو يشير بيده إليهم :

ـ هيا .. سنتحركُ جميعًا على الفور ، دون أن نضيع لحظة واحدة .

سألته (نشوى) ، وهى تحتضن زوجها فى حنان ، فرحًا بنجاته :

ـ إلى أين يا أبى ؟!

انعقد حاجباه ، وهو يجيب :

ـ سنعود إلى حيث بدأ كل شىء .

واكتسبت لهجته صرامة شديدة ، وهو يضيف :

ـ إلى فيلا الدكتور (وائل) .

اتسعت عيونهم جميعًا فى دهشة ، وتبادلوا نظرة قلق حائرة ، قبل أن تقول (سلوى) :

ـ لن يكون هذا بالأمر السهل يا (نور) .

أجابها فى حزم :

ـ ولكنه الوسيلة الوحيدة لحسم الأمر يا (سلوى) .

ثم واجه الجميع ، وهو يشير بيده ، قائلاً :

ـ الأمر كله بدأ من هناك ، وكلنا نعلم الآن أن موقع الفيلا يعنى الكثير جدًا ، بالنسبة لذلك الاتصال ، بين عالمنا وعالم الظلال ، لذا فمن المحتَّم أن نعود إلى هناك .. أن نلمس كل شىء بأنفسنا ، ونفحص المكان مرة أخرى ، على ضوء ما تجمَّع لدينا من معلومات واستنتاجات الآن .

لوَّحت (نشوى) بخزانة الأسطوانات الإليكترونية ، وهى تقول :

ـ ألا ينبغى أن نفتح هذه أوَّلاً ؟! ربما كانت تحوى كل ما نحتاج إليه من معلومات .

أجابها بسرعة :

ـ إنها كذلك بالتأكيد ، ولكننا لن نضيع الوقت فى التأكد من هذا ؛ لأن خصمنا يتحرك بأقصى سرعته الآن ، وعدم ظهوره هنا ، حتى هذه اللحظة ، يمنحنى شعورًا بأنه يتحرك فى محور آخر ، ويروق له أن يبقينا هنا ، لأطول فترة ممكنة .

وانعقد حاجباه فى شدة ، وهو يضيف :

ـ لذا ، فمن المحتم أن نعود .

لوحت (نشوى) بالخزانة مرة أخرى ، قائلة :

ـ صدقنى يا أبى .. أنا واثقة من أننا سنجد كل ما نحتاج إليه هنا .

التفت إليها ، قائلًا :

ـ سنحاول فتحها فى الطريق إذن .

تساءل (أكرم) فى دهشة :

ـ كيف ؟!

أجابه (نور) ، وهو يشير بسبابته :

ـ إننا لن نستخدم سيارة الإسعاف هذه المرة ، وإنما سنستولى على سيارتى رجال الصاعقة ، وهذه السيارات يتم تزويدها الآن بجهاز كمبيوتر خاص ، يتصل مباشرة بكل شبكات المعلومات العالمية ،



لوحت (نشوى) بخزانة الأسطوانات الإليكترونية ، وهى تقول :
ـ ألا ينبغى أن نفتح هذه أولاً ؟! ..

عن طريق الأقمار الصناعية ، ومن المؤكَّد أن هذا الكمبيوتر يمكنه إفادة (نشوى) ، بأضعاف ما يفعل أى كمبيوتر آخر .

هتفت (نشوى) فى حماس :

- بالتأكيد .. هذه الأجهزة تحوى أيضًا برنامجًا متطوِّرًا لحل الشفرة .

قال (نور) :

- عظيم .. فى هذه الحالة ستستغلين الوقت ، الذى سنستغرقه للعودة إلى فيلا الدكتور (وائل) ، فى محاولة فتح الخزانة الإليكترونية .

سأله (أكرم) فى توتر :

- ولماذا لا تبقى (سلوى) و(نشوى) هنا ، حتى نتمّ نحن هذه المهمة ؟!

ألن يكون هذا أكثر أمنًا لهما ؟!

هزّ (نور) رأسه نفيًا ، وقال :

- خطأ يا (أكرم) .. خطأ .. العقيد (باسل) لن يتجاهلنا هكذا طوال الوقت .. بل إنه ليدهشنى حقًّا أن ظلّ بعيدًا ، حتى هذه اللحظة .. لقد حاول اغتيالنا ، ولكننا أفلتنا منه ، ولا بد أن يسعى للقضاء علينا ثانية .

سأله الدكتور (حجازى) بأنفاس مبهورة :

- هل تعتقد أنه سيعود إلى هنا ؟!

أجابه (نور) فى حزم :

- دون أدنى شك .

ثم عاد يدير عينيه فى وجوههم ، مستطردًا :

- ولهذا أصرّ على أن نغادر المكان بأقصى سرعة .

قال (أكرم) :

- فليكن .. دعنا نغادر جميعًا هذا المكان ، ثم نتجه أنت وأنا و(رمزى) إلى تلك الفيلا ، التى يحيطونها حتمًا بكل الحراسة الممكنة ، فى حين تختبئ (سلوى) و(نشوى) فى مكان آمن .

قال (نور) فى ضيق :

- ماذا دهاك يا رجل ؟! تتحدَّث كما لو أنك تخشى على ابنتى وزوجتى أكثر مما أخشاه عليهما !! أنسيت أن (سلوى) و(نشوى) هما الخبيرتان العلميتان فى الفريق كله الآن ، وأن لجوء تلك الظلال إلى (نشوى) بالتحديد ، يعنى أنها قادرة بالفعل على حل اللغز كله ؟

سأله (أكرم) فى عصبية :

- لصالح من ؟! ألم يخطر ببالك أن نجاح (نشوى) قد يعنى فتح الباب على مصراعيه ، أمام تلك الظلال الرهيبة ، لتغزو كوكبنا كله ؟!

انعقد حاجبا (نور) مرة أخرى ، وهو يغمغم :

- هذا احتمال وارد بالتأكيد .

قال (رمزى) فى حزم :

- بل هو يبدو لى الاحتمال الأكثر ورودًا يا (نور) .

أشار (نور) بسبَّابته ، قائلاً :

- كل الاحتمالات متساوية الآن يا (رمزى) .

سأله الدكتور (حجازى) فى توتر :

- أتعنى أن هناك احتمالاً أن تكون تلك الظلال صديقة ؟!

صمت (نور) لحظات ، قبل أن يكرِّر فى حزم :

- كل الاحتمالات يا دكتور (حجازى) .. كل الاحتمالات .

ثم شدَّ قامته ، واستطرد بلهجة آمرة :

- والآن هيا .. سنغادر هذا المكان الآن .

أشار إليه (أكرم) ، قائلاً :

- مهلاً يا (نور) .. ما زلت أصرّ على التعامل مع جنود الصاعقة هؤلاء بشكل مختلف .

استدار إليه (نور) ، متسائلاً فى حدة :

- ماذا تعنى ؟!

ارتسمت ابتسامة خبيثة على شفتى (أكرم) ، وهو يجيب :

- الكثير .

كانت فكرته تستحق التفكير بالتأكيد ، إلا أنها أضاعت منهم ربع ساعة أخرى ، قبل أن تنطلق بهم سيارتا رجال الصاعقة ، عائدين إلى حيث فيلا الدكتور (وائل) ..

كان (نور) يقود إحدى السيارتين ، بصحبة (سلوى) و(نشوى) ، فى حين انطلق (أكرم) بالسيارة الثانية ، مع (رمزى) والدكتور (حجازى) .

وفى سيارة (نور) ، أسرعت (نشوى) توصل خزانة الأسطوانات الإليكترونية بجهاز كمبيوتر السيارة ، ثم راحت أصابعها تضرب أزراره فى دقة ، وهى تغمغم :

هذه الأجهزة رائعة .. إنها تحوى عددًا من أفضل برامج حل الشفرة ، وكل ما أحتاج إليه هو بضع

تطويرات بسيطة ، وسيمكننى بعدها التعامل مع هذه الخزانة بكل ثقة .

سألتها (سلوى) فى اهتمام :

ـ هل يمكنك فحص الأسطوانات المدمجة نفسها هنا ؟!

أجابتها ، وهى تواصل العمل على كمبيوتر السيارة فى سرعة :

ـ بالتأكيد .. إنها أجهزة رائعة بحق .

كانت تعمل فى حماس ، عندما انبعثت من بعيد مصابيح سيارتين ، تتجهان نحو سيارتيهما مباشرة ، فهتفت (سلوى) :

ـ يا إلهى ! أخشى أن ...

قاطعها (نور) بإشارة من يده ، ثم لوَّح لـ (أكرم) ، مغمغمًا :

ـ لا جدوى من الخوف الآن .. لقد رأونا كما رأيناهم ، وليس أمامنا سوى مواصلة الطريق .

كانت إشارته لـ (أكرم) تحمل هذا المعنى ، فواصل هذا الأخير انطلاقه بالسيارة (الجيب) العسكرية الثانية ، وهو يغمغم فى عصبية :

ـ كنت أعلم أن هذا سيحدث حتمًا .

لم يعلِّق (رمزى) أو الدكتور (حجازى) على عبارته ، وهما يتابعان تلك الأضواء ببصرهما ، وهى تقترب ..

وتقترب ..

وتقترب ..

كانت هناك سيارة (جيب) ، وأخرى كبيرة ، من الطرز الخاصة بنقل الجنود والمعدَّات ، والتى تحمل ما يقرب من خمسة عشر جنديًا ، بكامل أسلحتهم ومعداتهم ، و ...

وفجأة ، لاحت وجوه ركاب السيارة (الجيب) فى وضوح ..

وخفقت قلوب الجميع فى قوة ..

فإلى جوار سائق السيارة ، كان يجلس آخر شخص ، يتمنى أحدهم رؤيته ، فى مثل هذه الظروف ، وهو يحدِّق فيهم باهتمام ..

وكان هذا الشخص هو (باسل) ..

العقيد (باسل بهجت) ..

شخصيًا ..

* * *

ألقى (أمجد صبحى) ، المستشار الأمنى لرئيس الجمهورية نظرة متوترة ، على ساعة يده ، التى أشارت عقاربها إلى الثالثة والنصف صباحًا ، قبل أن يغمغم ، متحدثًا إلى نفسه :

- هذا يتناسب أكثر مع الأدلة الظرفية ، ومع وجهة نظرى للأمور .. كان ينبغى أن أثق بحدسى منذ البداية .

وتنهد فى عمق ، قبل أن يلقى نظرة على النافذة الصغيرة ، للحجرة التى تم احتجازه فيها ، مستطردًا فى شىء من الضيق :

- وكان ينبغى أن أدرك أن وغدًا مثل (باسل بهجت) ، يمكنه أن يفعل أى شىء فى الكون .

كان ما حدث قد أثبت تمامًا أن العقيد (باسل) يتستر على أمر ما ، داخل المدينة المحاصرة ، إلا أن السؤال الذى ظل يلح على رأس (أمجد) هو : لحساب من يفعل (باسل) هذا الأمر ؟!

ألحسابه الشخصى ؟!

أم لحساب منظمة ما ؟!

أو غزاة من دولة أخرى ؟!

أو حتى من عالم آخر !

أم أنه يفعل هذا بأوامر من رؤسائه ؟!

انعقد حاجباه فى شدة ، عند هذه النقطة ، وسرت فى جسده موجة عنيفة من التوتر ..

فلو صح هذا الافتراض الأخير ، فسيعنى أمورًا رهيبة ..

رهيبة للغاية ..

وأبسط ما يمكن أن يعنيه ، هو أن القيادة العسكرية قد رفعت عصا العصيان ، على القيادة المدنية ..

أو بمعنى أدق ، أنها تستعد للقيام بانقلاب ..

انقلاب عسكرى شامل ..

ولكن حتى هذا لا يتفق مع كل الأدلة المتاحة .. وبالذات الظرفية منها ..

فلو أن الهدف من كل هذا هو القيام بانقلاب عسكرى ، فلماذا تم اختيار مدينة (السادس من أكتوبر) ؟!

لماذا لم يتم تكثيف الأمر حول (القاهرة) ؟!

وما فائدة كل ما يحدث فى هذه المدينة ، بالنسبة لانقلاب عسكرى ؟!

ثم ما صلته بذلك الانفجار ، الذى كاد يدمر فيلا الدكتور (وائل) ؟!

أهو سلاح جديد ، كان عالم الفيزياء والطاقة يعدّه ، من أجل من سيقومون بالانقلاب ؟!

سلاح يتيح لهم التفوّق ، والقضاء على كل مقاومة ؟!

تُرى هل تسبَّب خطأ ما ، فى تدمير ذلك السلاح ؟!

وهل هذا ما أتى بهم إلى المدينة ؟!

بدا له هذا الاستنتاج منطقيًّا إلى حد كبير ، ويتفق مع معظم الأدلَّة التى يراها حوله ، فانعقد حاجباه بشدة أكبر ، وهو يغمغم :

- لو أن الأمر كذلك ، فهذا يعنى أن سيادة الرئيس فى خطر .

ثم تلفَّت حوله ، مستطردًا فى صرامة :

- ويعنى أنه من المستحيل أن أظلَّ حبيسًا هنا ، فى ظل هذه الظروف .

أطلّ الحزم والحسم من ملامحه واضحين ، وذهنه يستعيد ذكرياته القديمة ..

ذكريات العمل فى المخابرات العامة المصرية ، فى الربع الأخير من القرن العشرين ..

ذكريات القتال ..

والصراع ..

والتحديات ..

تذكَّر مواجهاته وزميلته لمعظم أجهزة المخابرات ..

(الموساد) ..

المخابرات الأمريكية ..

والسوفيتية ..

وحتى اليابانية ..

وصراعاته القديمة مع عشرات المنظمات الإجرامية ، ومنظمات الجاسوسية الخاصة ، و ...

وفى حزم ، تمتم مكرِّرًا :

- لا يمكن أن أظل هنا .

قالها ، واتجه نحو باب الحجرة ، وهو يدرس الأمر فى عمق ..

إنه لم يعد شابًّا كما كان ..

لقد ترك العمل بالخدمة ، منذ خمس سنوات مضت ، منذ اختارته مؤسسة الرياسة ، ليعمل فيها كمستشار أمنى على أرفع مستوى ..

وعمره الآن يقترب من الخمسين ..
وخبراته لم تعد كما كانت فى السابق ..
الزمن نفسه لم يعد يناسبه ..
لقد صار أكثر مناسبة لشاب مثل (نور) ..
ولفريق علمى كفريقه ..
ولكن هذا لا يعنى أنه لم يعد قادرًا على القتال ..
أو على التضحية بحياته ، لو استلزم الأمر ..
من أجل (مصر) ..
وأمن (مصر) ..
ورئيس (مصر) ..
ارتفع رأسه فى حسم ، مع تلك العبارات الثلاث الأخيرة ، وراحت أصابعه تعالج رتاج الحجرة فى سرعة ومهارة ، وهو يتمتم :
ـ من حسن الحظ أنه رتاج عادى ، وليس كتلك الرتاجات الإليكترونية الحديثة .
ومع آخر حروف كلماته ، التقطت أذناه تكة خافتة ، جعلته يبتسم فى هدوء ، متمتمًا :
ـ عظيم .. هذا يثبت أننى لم أفقد مهارتى بعد .
ـ وفى حذر ، ألصق أذنه بالباب ، فى محاولة

لالتقاط أية أصوات ، تصدر من الجانب الآخر ، وتحليلها ، لمعرفة الموقف الخارجى ..
ومرة أخرى ، أثبتت حواسه أنه لم يفقد مهارته قط ..
هناك رجلان ..
بل ثلاثة ..
وقع الأقدام الثقيل يشير إلى أنهم جنود ، بكامل أسلحتهم وعتادهم ..
واحد إلى اليمين ..
واثنان إلى اليسار ..
ظلَ يرهف سمعه بضع لحظات أخرى ؛ للتأكُد مما رصدته حواسه ، قبل أن يتمتم :
ـ على بركة اللّه .
ومع آخر حروف كلماته ، جذب الباب فى قوة ، ثم اندفع إلى الخارج كالعاصفة ..
وكانت مفاجأة للجنود الثلاثة ..
وفى سرعة ، ارتفعت مدافعهم الليزرية لمواجهته ..
وفى نفس اللحظة ، وثب (أمجد) ..
لم تعد سنوات عمره الخمسين هى التى تتحرك وتقاتل ..

وإنما هى غريزته ..

غريزة مقاتل فذ ، استيقظت كلها بغتة ، بعد سنوات من الهدوء والكمون ..

لم تستيقظ فحسب ، وإنما تفجَّرت ..

وبمنتهى القوة ..

لقد دار حول نفسه ، راكلاً المدفع الليزرى من يد الجندى الأوَّل ، وموجِّهًا ركلة كالقنبلة إلى أنف الجندى الثانى ، فى اللحظة نفسها ، ثم هبط على قدميه ، وانحنى يتفادى طلقة ليزر ، من مدفع الجندى الثانى ، ثم اعتدل وقبضته تلكمه فى فكه لكمة ساحقة ، أطاحت به إلى الخلف فى عنف ، ليرتطم بالأوَّل ، الذى حاول استعادة توازنه فى سرعة ، إلا أن (أمجد) وثب نحوه ، وكال له لكمة عنيفة فى معدته ، هاتفًا :

- اعذرنى أيها الجندى .

ثم أعقبها بأخرى كالصاعقة ، فى فكه مباشرة ، مستطردًا :

- ولكننى مضطر .

انتهى القتال فى ثوان ثلاث فحسب ، ووقف (أمجد) يدير عينيه فى الرجال الثلاثة ، فى شىء من

الدهشة ، وكأنما لم يكن يتوقَّع أن يفعلها ، بعد كل هذه السنين ، ثم لم يلبث أن اعتدل ، مغمغمًا فى ارتياح :

- يبدو أن المثل القائل : « يموت الزمَّار ويداه تعزفان » صحيح إلى حدٍّ كبير .. من الواضح أن المرء لا ينسى هذه المهارات بسهولة .

ثم انحنى يلتقط أحد المدافع الليزرية ، مستطردًا فى حزم :

- وهذا من سوء حظك أيها العقيد (باسل) ؛ فمبادرتك الحمقاء هذه لم تؤد إلا لنتيجة واحدة .

ورفع المدفع إلى جانبه ، مضيفًا :

- لقد أيقظت (أمجد صبحى) ، وأعادته إلى عالمه الحقيقى .

وفى حذر ، اتجه خارج المكان ، وهو يتلفَّت حوله ، متمتمًا فى خفوت شديد :

- مرحى .. لقد عادت الأيام الخوالى ، دون أن تعمل حسابًا لهذا يا (أمجد) .. ويبدو أنك تستمتع بهذا تمامًا .. الواقع أنك لم تُخلق لتلك الأعمال الهادئة ،

أو للتحليلات المكتبيـة ، التـى يتخمونـك بهـا طـوال الوقت ، فى مؤسسة الرياسة ، و ....

قبل أن يتمَ عبارتـه ، سطع ضـوء قـوى بغتـةً فـى وجهه ، وارتفع معه صوت صارم ، يقول فى شراسـة متحفزة :

ـ ألق سـلاحك يـا سيِّد (أمجـد) ، أو نطلـق النـار على الفور .

ومع الصوت ، التقطت أذنـا (أمجـد) صـوت ثـلاث مدافع آلية ليزرية ، ترتفع فى وجهـه ، ولمـح أشـباح أصحابها ، مع الضوء الساطع من خلفهم ..

وكان هذا يعنى أنه قد تعجَّل قوله كثيرًا ..

صحيح أنه عاد بالفعل إلى عالمه القديم ..

ولكن مهمته هذه المرة انتهت فى سرعة ..

بل انتهت قبل أن تبدأ فى الواقع ..

وفى توتر محنق ، انعقد حاجبا (أمجد) فى شدة ، وصاحب الصوت الصارم والشرس يكرِّر :

ـ ألق سـلاحك يـا سيِّد (أمجـد) .. لدينـا أوامـر بإطلاق النار ، عند أية مقاومة .

قال (أمجد) فى توتر :

ـ فليكن يا رجل .

ثم ارتفعت فوهة مدفعه الليزرى فى سرعة ، وهو يكمل فى صرامة :

ـ أطلق النار .

وانطلقت خيوط الليـزر فى المكـان ، بكـل العنـف والقوة ..

وتفجَّرت الدماء ..

بكل غزارة .





٤ـ بطريق الخداع ..

« لا بد أن نصل إلى مندوب الرياسة بأى ثمن .. »

هتفت (مشيرة) بالعبارة فى حزم ، وهى تتحرك فى عصبية زائدة ، داخل ردهة منزل الأستاذ (حسن) ، الذى بدا بدوره شديد التوتر ، وهو يلوح بيده ، قائلاً :

ـ وأين يمكن أن نعثر عليه ؟! لقد انطلق به ذلك الوغد إلى مكان ما ، وها هم أولاء رجال الصاعقة يظهرون مرة أخرى فى المكان .. إننا لم نعد نستطيع حتى الخروج من هنا .

هتفت (مشيرة) :

ـ لا بد أن نبذل قصارى جهدنا ، حتى ولو جازفنا بحياتنا نفسها ، فهذا هو أملنا الأخير .

سألتها زوجة الأستاذ (حسن) فى عصبية :

ـ أى أمل ؟!

التفتت إليها (مشيرة) ، مجيبة فى حماس :

ـ أن تصل الحقيقة إلى الرئيس نفسه .

هتفت زوجة الأستاذ (حسن) فى حنق :

ـ الرئيس ؟! ومن أدراك أنه يجهل ما يحدث هنا ؟!

بهتت (مشيرة) للقول ، فحدقت فيها فى دهشة ، قبل أن تقول مستنكرة :

ـ ماذا تقولين يا سيدة (مروة) ؟!

هتفت المرأة فى عصبية :

ـ أقول : إنه من المستحيل أن يجهل رئيس الجمهورية كل ما نعانيه هنا ، وإلا لما استحق منصبه عن جدارة .. لقد حاصروا المدينة ، وروعوا الآمنين ، وأتلفوا الممتلكات ، وأزهقوا الأرواح .. أخبرينى بالله عليك ، ما الذى يمكن أن يفعله أى غاصب محتل أجنبى ، أكثر من هذا ؟!

أجابتها (مشيرة) فى حدة :

ـ لقد أرسل الرئيس مندوبًا إلى هنا ، وهذا يعنى أنه يسعى لمعرفة ما يحدث .

قالت (مروة) فى حنق :

ـ أو يطمئن إلى نتائج ما حدث فحسب .

حدقت (مشيرة) فيها طويلاً ، فى مزيج من الدهشة والاستنكار ، قبل أن تهتف :

- لا .. مستحيل أن يشارك الرئيس فى أمر كهذا .. هذا ليس منطقيًا .

صاحت السيِّدة (مروة) :

- أمن المنطقى إذن أن يفعل بنا جيشنا هذا .

انعقد حاجبا (مشيرة) ، وهى تجيب :

- كلاَّ .

ثم استدركت فى سرعة :

- وهذا يعنى أن الأمر كله ليس طبيعيًا .

قال الأستاذ (حسن) فى عصبية :

إنها تلك الظلال .

التفتت إليه المرأتان ، فتابع فى حزم متوتر :

- من الواضح أن لديها القدرة على التشكُّل فى هيئتنا ، أو فى احتلال أجسادنا ، على نحو ما ، وهذا ما يجعل رجال الجيش عصبيين قساة ، وربما كان السبب نفسه ، الذى جعلهم يحيطون أنفسهم بتلك الهالات الخضراء .. إنهم يحاولون حماية أنفسهم من تلك الظلال ، ويشكوّن فى كل من عداهم ، باعتبار أنه من المحتمل أن يكون أحد تلك الظلال ، أو محتلاًّ بها .

حدَّقت زوجته و(مشيرة) فيه بدهشة ، وقد بدا

لهما تفسيره منطقيًا إلى حدٍ كبير ، وعلى الرغم من هذا ، فقد انتفضت زوجته ، واستعادت غضبها وعصبيتها ، وهى تهتف :

- حتى هذا لا يمنحهم الحق فيما يفعلونه .

أجابتها (مشيرة) :

- وهم يفعلونه بدافع شخصى .. الرئيس ليس متورطًا حتمًا فى أمر كهذا .

هتفت بها (مروة) :

- ألديك دليل على هذا ؟!

صاحت بها (مشيرة) :

- ألديك أنت دليل واحد ، على تورط مؤسسة الرياسة فيما يحدث .

لوَّحت (مروة) بذراعيها ، هاتفة :

- كل ما حولنا يؤكد أن الدولة كلها متورطة فى الأمر .

هتفت (مشيرة) :

- لماذا أبعدوا (نور) وفريقه إذن ؟!

انعقد حاجبا الأستاذ (حسن) فى شدة ، واعتدل فى مجلسه بحركة حادة ، عندما بلغت هذه النقطة من

حديثها ، وتراجعت زوجته كالمصعوقة ، وكأنما أنستها تداعيات الليلة تلك الأمور بالغة الأهمية ، وتركت جسدها يسقط على مقعد قريب ، وهى تتمتم :

- صدقينى يا سيِّدة (مشيرة) .. إننى أشعر بخوف لا حدود له ، كلما حاولت التوغُّل أكثر وأكثر فى هذا الأمر .

اقتربت (مشيرة) منها ، وربَّتت على كتفها ، قائلة فى تعاطف :

- صدقينى يا سيِّدتى .. المخرج الوحيد من كل هذا ، هو إبلاغ مندوب الرئيس حقيقة ما يحدث هنا .

رفعت السَّيدة (مروة) إليها عينين دامعتين مذعورتين ، وهى تتساءل :

- وكيف ؟!

أجابتها (مشيرة) فى سرعة :

- أوَّل ما ينبغى أن نفعله أن ...

« أنتم لا تفهمون شيئًا .. »

انطلقت العبارة فجأة ، من بين شفتى (هيثم) ، الذى اكتفى بالصمت والمراقبة طوال الوقت ، وحملت صرامة تمتزج بعمق مخيف ، وهو يرمق ثلاثتهم

بنظرة عجيبة ، جعلتهم يلتفتون إليه ، ويحدِّقون فيه لحظة فى دهشة ، قبل أن تهتف السيِّدة (مروة) :

- (هيثم) .. ليس من التهذيب أن ...

قاطعها الأستاذ (حسن) بإشارة متوترة من يده ، وهو يهبّ من مقعده ، قائلاً :

- مهلاً .. اتركى الأمر لى ..

ثم اتجه نحو (هيثم) ، مستطردًا :

- لقد عانى المسكين الكثير الليلة .

ولكن (هيثم) ظلّ واقفًا فى مكانه ، يتطلع إليهم بنفس الصرامة المخيفة ، وهو يكرِّر بصوته العميق للغاية :

- أنتم لا تجيدون معالجة الأمور قط ..

سأله الأستاذ (حسن) ، وهو يواصل الاقتراب منه فى حذر :

- لماذا تقول هذا يا ولدى ؟!

أجابه على الفور :

- عندما جاء ذلك العقيد إلى هنا ، أبلغكم أنه وضع أجهزة تنصُّت دقيقة فى المكان ، وبوساطتها كشف أمر الشريط المسجَّل ، فماذا فعلتم لمعالجة هذا ؟!

تجمَّد الأستاذ (حسن) فى مكانه مبهوتًا ، واتسعت عينا زوجته فى ارتياع شديد ، فى حين انعقد حاجبا (مشيرة) ، وهى تتلفت حولها ، متمتمة :

- رباه ! كيف غاب عنا هذا ؟!

أجابها (هيثم) فى صرامة :

- لأنكم لا تجيدون التعامل مع الموقف .

غمغم الأستاذ (حسن) :

- لا تقس علينا يا ولدى .

تجاهله (هيثم) تمامًا ، وتجاوزه بخطوات حاسمه ، ليتجه نحو (مشيرة) مباشرة ، ومدَّ يده إليها ، قائلاً :

- أين نسخة الشريط ؟!

أجابته فى توتر حازم :

- فى مكان آمن .

هزَّ رأسه فى بطء ، قائلاً بنفس الصرامة :

- فى ظل هذه الظروف ، لا يوجد مكان واحد آمن .

ثم كرَّر :

- أين النسخة ؟!

تضاعف توترها ، وهى تقول :

- اسمع يا (هيثم) .. صحيح أنك صاحب الشريط الأصلى ، ولكن ...

تألَّقت عيناه بغتة ، وهو يصرخ :

- أين هى ؟!

ولم تدر ماذا أصابها بالضبط !!

لقد خُيِّل إليها أن موجة من اللهب قد انطلقت من عينيه ، وارتطمت بها فى عنف ، فاقتلعتها من مكانها ، ودفعتها مترًا واحدًا إلى الخلف ، لتسقط على الأريكة ، على نحو جعل السيِّدة (مروة) تطلق شهقة رعب ، وتتراجع مذعورة ، فى حين هتف الأستاذ (حسن) :

- ربَّاه ! ماذا يحدث هنا ؟!

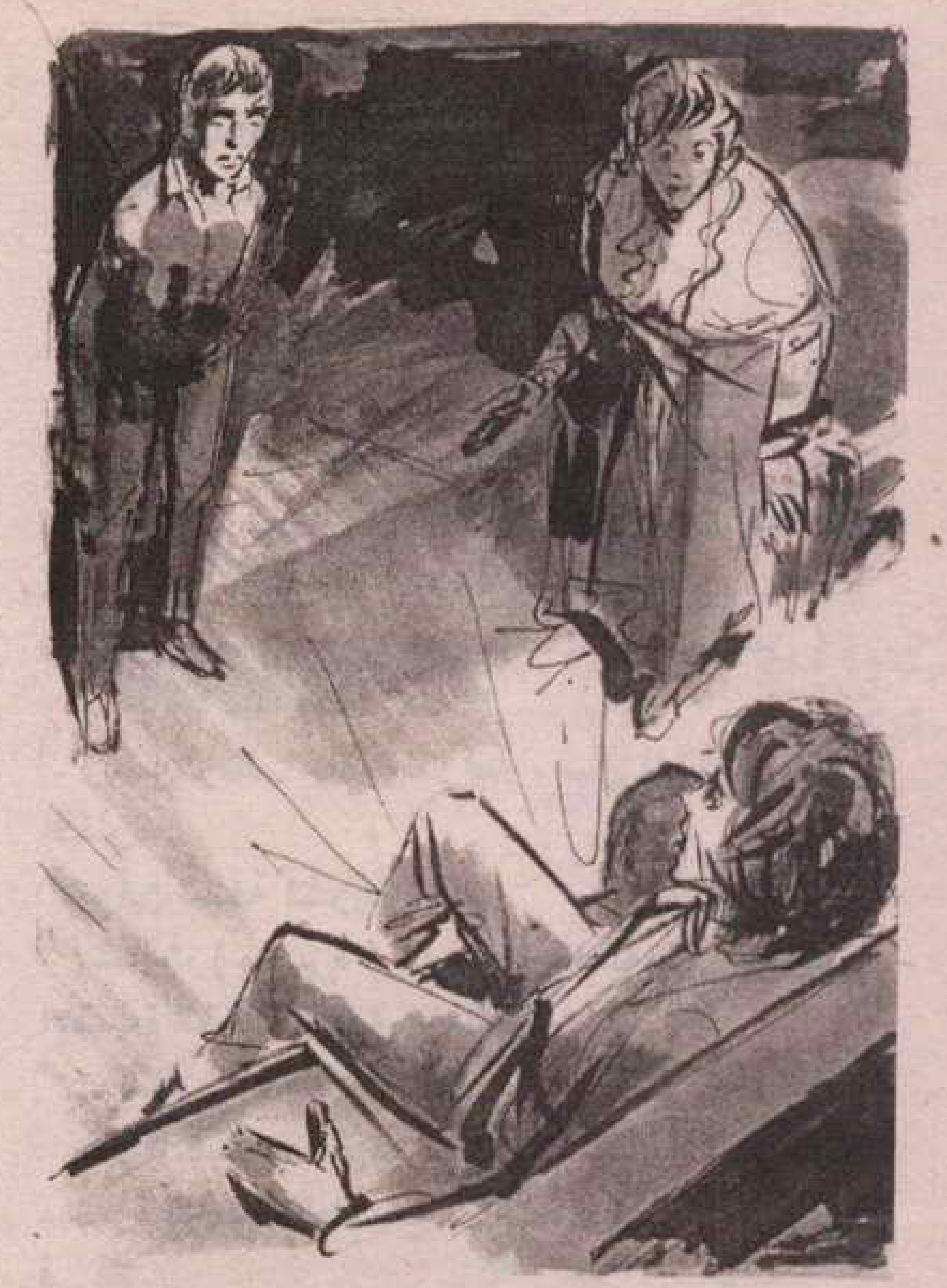
وبصوت أكثر عمقًا وصرامة ، سأل (هيثم) للمرة الأخيرة :

- أين نسخة الشريط ؟!

أشارت (مشيرة) بسبَّابة مرتجفة إلى مصباح الإضاءة الخافت بالجدار ، متمتمة :

- هناك .

أدار (هيثم) عينيه إلى حيث تشير ، ثم اتجه مباشرة إلى ذلك المصباح ، والأستاذ (حسن) يسأله فى قلق :



لقد خُيِّل إليها أن موجة من اللهب قد انطلقت من عينيه ، وارتطمت بها فى عنف ، فاقتلعتها من مكانها ، ودفعتها متراً واحداً إلى الخلف ، لتسقط على الأريكة ..

- ماذا أصابك يا ولدى ؟! صحيح أنك قد فقدت والديك على نحو بشع ، ولكن هذا لا يعنى أن الحياة قد انتهت :

لم يبد على (هيثم) أنه حتى يسمعه ، وهو يرفع قاعدة مصباح الإضاءة الخافت ، ثم يجذب أسطوانة التسجيل من أسفلها فى خفة ، ويدسّها فى جيبه ، فاعتدلت (مشيرة) ، تسأله فى عصبية :

- ماذا ستفعل بها ؟!

أجاب فى صرامة :

- أنتم لا تفهمون شيئاً .

قالها ، ثم اتجه مباشرة إلى المطبخ ، فهتفت زوجة الأستاذ (حسن) بصوت مختنق ، يغلب عليه الانفعال :

- احترسا .. إنه سيخرج مرة أخرى .

قفزت (مشيرة) من مكانها ، هاتفة :

- لا يا (هيثم) .. لا تفعلها .

واندفع الأستاذ (حسن) خلفه بكل قوته ..

ولكن الصبى تحرَّك فى خفة مدهشة ، ووثب عبر نافذة المطبخ ، وانطلق يجرى وسط أشجار الحدائق الخلفية ، فهتف الأستاذ (حسن) ، وهو يفتح باب المطبخ ، ويندفع خلفه :

ـ يا إلهى ! لا تفعلها يا ولدى .. لا تفعلها .

توقَّف (هيثم) بغتة ، والتفت إليه ، هاتفًا فى صرامة :

ـ عُد .

ومع هتافه ، تألَّقت عيناه بغتة بذلك البريق الأحمر المخيف ..

وتجمَّد الأستاذ (حسن) فى مكانه ..

وانتفضت كل خلية من جسده فى رعب هائل ، وهو يحدِّق فى تلك العينين الحمراوين المشتعلتين باللهب ..

أما (هيثم) ، فقد استدار مرة أخرى ، وعاد يعدو وسط الأشجار ، حتى اختفى بينها تمامًا ، تاركًا الأستاذ (حسن) خلفه ، وجسده كله يرتجف انفعالاً ، وذهنه لا يحمل سوى كلمات محدودة ..

آخر كلمات ردَّدها الدكتور (وائل شوقى) ..

إنهم هنا ..

★ ★ ★

عندما التقت تلك الدورية ، التى يقودها العقيد (باسل) بنفسه ، بسيارتى (الجيب) العسكريتين ،

اللتين يستقلهما (نور) وفريقه ، كان الأوَّل غارقًا فى التفكير فى تداعيات الموقف ، منذ بدأ الحصار ..

كان يدرك تمامًا أن الأمور قد تطوَّرت كثيرًا ، منذ بدأت هذه العملية ..

وأنها تعقَّدت على نحو غير مسبوق ..

وخاصة عندما اضطر لاعتقال (أمجد صبحى) ، المستشار الأمنى الخاص لرئيس الجمهورية ، مع اثنين من رجال الحرس الجمهورى ..

فبخطوته هذه ، أعلن العصيان رسميًا على مؤسسة الرياسة ..

وعلى نحو سافر مستفز ..

وهذا يعنى أنه يواجه ، بحكم القانون ، تهمة عقوبتها الإعدام رميًا بالرصاص ..

وفى شدَة ، انعقد حاجباه ، وهو يتطلَّع إلى سيارتى (الجيب) ، بذهن وعينين شاردتين تمامًا ..

وعندما مرَّت السيارتان أمامه ، لمح داخلهما مجموعة من جنود الصاعقة ، يؤدون له التحية العسكرية الرسمية ، فأجابهم بمثلها فى آلية ، دون أن يشغل نفسه بالتفكير فى أمرهم لحظة واحدة ..

هذا لأن تلك الفكرة ، التى اقتبسها (أكرم) ، من أحد الأفلام العسكرية القديمة ، التى يهوى مشاهدتها معظم الوقت ، كانت مثمرة للغاية ..

لقد جرَّد جنود الصاعقة من أزيائهم العسكرية ، وكل أسلحتهم ومعداتهم ، وارتداها مع رفاقه ، ليبدوا فى صورة الجنود ..

بل واستخدموا أيضًا تلك الهالات الكهرومغنطيسية الخضراء نفسها ..

كان كل ما يأملونه ألا يميِّزهم (باسل) ورجاله فى سهولة ..

لذا فقد كانت دهشتهم كبيرة ، عندما تجاوزتهم دوريةَ قائد الصاعقة فى سرعة ، دون أن تشكَّ فى أمرهم لحظة واحدة ..

وفى حماس ، اقترب (نور) بسيارته من سيارة (أكرم) ، هاتفًا :

ـ مرة أخرى تثبت أنك عبقرى يا صديقى .

ابتسم (أكرم) ، وهو يهتف :

ـ الأفكار القديمة تفلح دائمًا .

هتفت (سلوى) فى اهتمام :

ـ ربَّاه ! لم أتصوَّر قط أن الأمر سيمرّ بهذه السهولة .

أجابها (نور) :

ـ لبعض الوقت فحسب يا عزيزتى .

سألته فى قلق :

ـ ماذا تعنى ؟!

أجابها ، وهو يزيد من سرعة السيارة :

ـ (باسل) يتجه مع رجاله إلى المستشفى ، وما إن يبلغها ، حتى يدرك ما حدث ، ويفهم ما فعلناه تمامًا ، وعندئذ ستشتعل الأمور دفعة واحدة .

هتف :

ـ يا إلهى ! هذا يعنى أنها ستشتعل أسرع مما توقَّعنا ، فالمسافة التى تفصله عن المستشفى ، تقلّ كثيرًا عن تلك التى تفصلنا عن فيلا الدكتور (وائل) .

انعقد حاجبا (نور) فى شدة ، وهو يدرك أن قولها حقيقى تمامًا ، وراح عقله يستعيد الموقف مرات ومرات ..

إنها على حق ..

(باسل) سيبلغ المستشفى ، قبل أن ينجحوا فى بلوغ الحىّ الراقى بعشر دقائق على الأقل .

وهذا يعنى أنه سيدرك الحقيقة .

سيدركها ، عندما يكشف ما أصاب رجاله هناك ..

ولأن الرجل محترف حقيقى ، فسيدرك على الفور ما يسعى إليه هو وفريقه ..

ولن يسمح لهم ببلوغ هدفهم قط ..

سيصدر أوامره إلى الجميع بانتظارهم هناك ..

عند فيلا الدكتور (وائل) ..

وخلال دقيقتين على الأكثر ، ستتحوَّل المنطقة كلها إلى حصن حصين ..

وسترتفع درجة الخطر إلى الذروة ..

أو ما بعد الذروة ..

وفى توتر ، التفت إلى ابنته ، يسألها :

ـ هل توصَّلت إلى شىء ؟!

أجابته (نشوى) ، وهى تواصل عملها ، على كمبيوتر السيَّارة :

ـ شفرة الدخول معقَّدة للغاية .. ستحتاج إلى بعض الوقت ، و ...

قبل أن تتمَّ عبارتها ، انبعث من الخزانة الإليكترونية صوت يقول :

ـ محاولة دخول ثانية فاشلة .

شهقت (سلوى) ، وانعقد حاجبا (نور) ، فى حين تمتمت (نشوى) :

ـ ربَّاه ! ولكننى لم أتمَّ محاولتى بعد ؟!

قال (نور) :

ـ من الواضح أنها مزوَّدة بنظام أمنى خاص للغاية .

أجابته (نشوى) :

ـ هذا صحيح .. إنه نظام خاص ، شاركت ذات يوم فى تطويره ، وهو يكشف كل محاولات فك الشفرة ، ويعتبرها محاولة دخول خاطئة .

ثم رفعت رأسها إلى والدها ، مستطردة :

ـ ولكن هذا النظام لم يتمَّ استخدامه بصفة رسمية بعد ، وما زال ، حتى هذه اللحظة ، يندرج تحت بند السرية المطلقة .

عاد حاجبا (نور) ينعقدان ، وهو يتمتم :

ـ هذا يثبت نظريتى .

وصمت لحظة ، قبل أن يضيف فى صرامة :

ـ إنهم يعلمون .

سرت فى جسد (سلوى) قشعريرة باردة ، عندما

سمعت كلماته الأخيرة ، وحاولت أن تتغلب على توترها الشديد ، وهى تسأل ابنتها :

- هل يمكنك التعامل مع هذا النظام الخاص ؟!

أجابتها (نشوى) :

- بالتأكيد ، ولو أننى أعلم مع أى نظام أتعامل منذ البداية ، لصار الأمر أكثر سهولة .

وعادت أصابعها تجرى على أزرار كمبيوتر السيارة ، وهى تضيف :

- قلت لكما : إننى قد شاركت يومًا فى تطوير هذا النظام الخاص ، مما يعنى أننى أعلم جيدًا كيف يعمل ، وكيف يمكننى إيقاف عمله .

حاول (نور) أن يزيد من سرعة السيارة ، التى تنطلق بأقصى سرعتها بالفعل ، وهو يقول فى حزم :

- المهم أن يتمّ هذا فى الوقت المناسب .

وكان على حق تمامًا فى قوله هذا ..

ففى الظروف الحالية ، لم يعد المهم هو كيف يمكن أن تواجه المشكلة ..

المهم هو متى تواجهها ..

متى ؟!

★ ★ ★

« اعتقال المستشار الأمنى لرئيس الجمهورية ، كان أكبر خطأ ارتكبه فى حياته .. »

عضّ (باسل) شفتيه فى حنق ، عندما قفزت هذه العبارة إلى ذهنه ، وانقبضت أصابعه فى قوة ، وهو يتمتم فى خفوت :

- اللعنة !

سأله السائق فى قلق :

- ماذا هناك أيها القائد ؟

أجابه (باسل) فى صرامة محتدّة :

- ليس هذا من شأنك .. واصل طريقك بلا أسئلة ..

احتقن وجه السائق ، وهو يتمتم :

- أمرك يا سيادة العقيد .

عقد (باسل) حاجبيه فى شدّة ، وهو يعاود التفكير فى الأمر ..

نعم .. أكبر خطأ ارتكبه ، فى حياته كلها ، هو اعتقال (أمجد صبرى) ..

لماذا اعتقله ؟!

لماذا حرص على الإبقاء عليه ، بعد ما كشف الأمر كله ؟!

كان ينبغى أن يقتله على الفور ..
ودون إبطاء ..
فاعتقاله حيًا يضع عشرات الاحتمالات لمخاطر لا حدود لها ..
ماذا لو أمكنه الفرار ، على نحو أو آخر ؟!
ماذا لو نجح فى إبلاغ الأمر للرئيس ؟!
فى هذه الحالة سينتهى أمره هو ..
سيحاكم بتهمة محاولة قلب نظام الحكم ..
أو على أقل تقدير ، بتهمة التمرُّد والعصيان ..
وفى كل الأحوال ، لن ينتظره سوى حكم واحد .. الإعدام ..
ورميًا بالرصاص ..
أما لو قتله ، فسيسير كل شىء على ما يرام ..
وستمضى الخطة فى طريقها المرسوم ..
بل وسيصبح الحال أفضل ..
هذا لأن المتهم بقتله ، وبقتل اثنين من رجال الحرس الجمهورى ، لن يكون حتمًا هو ..
بل سيكون (نور) وفريقه ..
سيضاف القتل إلى قائمة التهم ، التى ألقيت على كاهلهم بالفعل ..

وسيثير ثائرة رئيس الجمهورية ضدهم ..
نعم ..
كان هذا هو الأفضل منذ البداية ..
وما زال هو الخيار الأفضل الآن ..
والأقل خطورة ..
المشكلة الوحيدة أنه قد أبلغ الوزير باعتقال المستشار الأمنى بالفعل ..
وليس باغتياله ..
وهذا يجعل الأمر أكثر تعقيدًا ..
و ...
ولكن مهلاً ..
كل هذا لا ينطبق عليه هو (باسل بهجت) ..
إنه لن يجازف بكيانه كله ، لمجرَّد ألا يغضب الوزير ..
ثم لماذا يغضبه ؟!
لقد أبلغه أنه قد اعتقل (أمجد صبرى) بالفعل ، وهذا يعنى أنه يتعامل معه بمنتهى الصدق ..
وعندما يبلغه أن المستشار الأمنى وضابطى الحرس الجمهورى قد لقوا مصرعهم ، عند محاولتهم الفرار ..

وعندما يشرح له كيف سيعالج الأمر ..

وكيف سيلصق التهمة بـ (نور) وفريقه ..

فمن المؤكد أن الوزير لن يغضب أبدًا ..

بل وربما يسعده هذا ..

بالتأكيد سيسعده ، ما دام سيحلّ المشكلة كلها ..

ارتسمت على شفتيه ابتسامة ارتياح ، عندما بلغ هذه النقطة من تفكيره ، وأطلق من أعمق أعماق صدره تنهيدة حارة ، فرمقه السائق بنظرة جانبية ، دون أن يجرؤ على التفوه بحرف واحد ، ثم لم يلبث أن غمغم ، وهو يتوقف إلى جوار المستشفى :

- وصلنا أيها القائد .

هبط (باسل) من سيارته ، وأشار إلى جنوده ، الذين قفزوا من سيارتهم ، ووقفوا متأهبين متحفزين ، فى حين أدار هو عينيه فيما حوله ، وأوقفهما عند جهاز الاتصال الليزرى المحطّم ، الملقى وسط ساحة المستشفى ، وأشار إليه ، قائلاً للسائق :

- احضر هذا الشىء .

أسرع السائق يناوله الجهاز المحطّم ، ففحصه فى اهتمام ، وهو يقول متوترًا :

- آه .. هذا سر توقّفهم عن الاتصال إذن .

ثم عاد يدير عينيه فى الساحة ، مستطردًا :

- لقد دارت معركة عنيفة هنا .. الدماء تمتزج بالرمال ، وآثار طلقات الليزر فى الجدران والبوابات والأعمدة .. تُرى ماذا حدث هنا بالضبط ؟! وأين الرجال ؟!

غمغم السائق فى حذر :

- لقد التقينا بهم ، فى أثناء قدومنا إلى هنا يا سيّدى القائد .

التفت إليه (باسل) فى حدة ، قائلاً :

- التقينا بهم ؟!

أجابه السائق فى توتر :

- نعم يا سيّدى .. عندما كنا فى طريقنا إلى هنا ، كانوا فى طريق عودتهم إلى ذلك الحى الراقى .

انعقد حاجبا (باسل) فى شدّة ، وهو يغمغم :

- التقينا بهم ؟! مستحيل ! الاتصالات معهم مقطوعة ، منذ فترة طويلة ، ولو التقينا بهم لتوقّفوا لإبلاغى بما حدث حتمًا .

ثم التفت إلى السائق مرة أخرى ، قائلاً فى غضب :

- من المؤكَّد أننا قد التقينا بدورية أخرى يا رجل .

ارتجف السائق ، وهو يقول :

- ربما يا سيِّدى .. ربما .. ولكن ..

كان متردِّدًا بشدة ، فهتف به فى حنق :

- ولكن ماذا يا رجل ؟!

بدا السائق أقرب إلى الذعر ، وهو يجيب :

- لقد تعرَّفت سيارتيهم يا سيادة القائد .. معذرة .. ولكنه عملى .

حدَّق (باسل) فى وجهه طويلاً ، على نحو كاد السائق معه يفقد وعيه رعبًا ، قبل أن يلتفت الرجل إلى جنوده ، هاتفًا :

- انتشروا فى المكان .. فتشوا كل شبر منه .. استجوبوا الجميع .

ثم ارتفع صوته ، وهو يصرخ :

- واقتلوا كل من يرفض التعاون .. انسفوا رأسه بلا تردُّد .. هل تفهمون ؟!

صرخ بعبارته الأخيرة ، ليتأكَّد من أن كل مخلوق فى المستشفى قد سمعها ، وأدرك ما تعنيه تمامًا ، قبل أن يهتف فى حنق :

- اللعنة !

ثم التفت إلى السائق ، ولوَّح فى وجهه بسبَّابته فى غضب ، هاتفًا :

- لو أنك محق ، فسوف ..

هتف السائق المسكين :

- أقسم لك إنها الحقيقة أيها القائد .. أقسم لك .

انعقد حاجبا (باسل) على نحو مخيف ، وهو يصرخ فى السائق :

- أغرب عن وجهى .

أسرع المسكين يعدو مبتعدًا ، فى حين عاد (باسل) يدير عينيه فى المكان ، وهو يقول فى عصبيةٍ :

- نعم .. لقد رأيتهم .. مجموعة من الجنود فى سيارتى (جيب) .. لقد رأيتهم بنفسى .. اللعنة !

واندفع عائدًا إلى سيارته (الجيب) ، ليلتقط جهاز الاتصال اللاسلكى ، و ...

وفجأة ، لمح ذلك الضوء المتذبذب ، عند كمبيوتر السيارة ..

وانعقد حاجباه فى شدة ..

هناك من يستخدم أحد أجهزة كمبيوتر السيارات

الأخرى ، التى يرتبط بعضها بالبعض ، بشبكة اتصال ليزرية خاصة للغاية ..

ولكن من يجرؤ على هذا ؟!

إن أوامره صريحة فى هذا الشأن ..

من المحظور تمامًا استخدام شبكة المعلومات الليزرية ، دون الحصول على تصريح خاص منه ..

وعلى الرغم من هذا ، فأحدهم يستخدم الشبكة ..

وهذا يعنى احتمال نقل معلومات عما يحدث بالمدينة إلى الخارج ..

وازداد انعقاد حاجبيه ، حتى كادا يمتزجان ببعضهما ، من شدة توتره وانفعاله ، وهو يغمغم :

- اللعنة ! إنه فريق (نور) .

لم يكد الخاطر يقفز إلى ذهنه ، حتى اندفع نحوه أحد رجاله ، هاتفًا :

- سيدى القائد .. لقد عثرت على رجالنا .. لقد تم تقييدهم وتكميم أفواههم ، وتجريدهم من زيهم العسكرى وكل أسلحتهم ومعداتهم .

هتف (باسل) ، بكل غضب الدنيا :

- اللعنة !

ثم التقط جهاز الاتصال الليزرى الخاص ، وهو يهتف عبره :

- إنذار إلى الجميع ، وإلى كل نقاط التفتيش والمراقبة ، وكل أطقم الحراسة .. العدو يتنكر فى زينا العسكرى ، ويحاول الفرار من المدينة ، أو العودة إلى نقطة الصفر .. على الكل استخدام كود الطوارئ السرى رقم (ثلاثة) .. كل من لا يستخدم الكود اقتلوه على الفور .. هل تفهمون .. على الفور.

أنهى الاتصال ، ثم ضغط زرًا خاصًا ، إلى جوار كمبيوتر السيارة ، مستطردًا :

- بقى فقط أن نفسد شبكة اتصالات الليزر بالكمبيوتر .

ومع ضغطة الزر ، تألقت أضواء الكمبيوتر بغتة ، ثم انطفأت كلها دفعة واحدة .

وكان هذا يعنى أن محاولة (نشوى) الثالثة والأخيرة ، لفتح خزانة الأسطوانات الإليكترونية ، لم يكتب لها النجاح ..

وأن درجة الخطر فى العملية قد تضاعفت .. ألف مرة .

★ ★ ★

٥ـ المــــؤامرة ..

من المؤكَّد أنه في حياة كل منا خبرات عديدة ، لا يمكن أن ينساها قط ..

ومهارات لا يفقدها أبدًا ، مهما طال ابتعاده عنها ..

ومهما تصوَّر العكس ..

كل ما في الأمر أن تلك الخبرات والمهارات تحتاج إلى ما يستحثُّها ويستفزّها ، حتى تنهض من سباتها ، وتتفجَّر مرة أخرى في كيان صاحبها ..

وهذا بالضبط ما حدث مع (أمجد صبحى) ..

لقد اندفع خارج مكتب البريد ، حيث احتجزه (باسل) ، وفوجئ بضوء ساطع ، وبفوهات مدافع ليزرية تشهر في وجهه ، و ...

واستعاد جسده كل مهاراته وقدراته ، في ثانية واحدة ..

وربما في أقلّ من هذا ..

وبسرعة مدهشة ، ارتفعت فوهة مدفعه الليزرية ..

وانطلقت خيوط الليزر في عنف ..

وتفجَّر مصباح الضوء الساطع ، وطار جسد أحد رجال الصاعقة ، ليرتطم بالسيارة (الجيب) في عنف ، قبل أن يسقط أرضًا ..

وشعر (أمجد) بخيط من الليزر يخترق كتفه الأيسر ..

ووثب جانبًا ، والدماء تنزف من جرحه ..

وأطلق أشعة مدفعه مرة ثانية ..

وثالثة ..

وطار مدفع الجندى الثانى ..

وأصاب خيط آخر من الأشعة الأرض ، بين قدمى (أمجد) تمامًا ..

ثم انطلقت آهة ألم من الجندى الثالث ، عندما اخترق شعاع الليزر ساقه ، وسقط على ركبتيه ، وزميله يحاول انتزاع مسدسه الليزرى من غمده في سرعة ..

وكالصاعقة ، اندفع (أمجد) نحوهما ..

وهوى كعب مدفعه على فك الجندى ، الذى يحاول انتزاع مسدسه ، فتراجع في عنف ، وسقط فاقد الوعى ،

إلى جـوار زميلـه ، الـذى سقط علـى ركبتيـه ، ورفـع عينيه إلى (أمجد) فى توتر ..

وبسرعة مدهشة ، استدار (أمجـد) يصوّب إليـه مدفعه الليزرى ، فانتفض جسد الجنـدى ، وهتـف فـى عصبية :

ـ هيّا .. أطلق النـار .. هيّا .

خفض (أمجد) فوهة مدفعه الليزرى ، وهو يتجـه نحوه ، قائلاً :

ـ ولماذا أطلق النار يا رجل ؟! المفترض أننا لسنا عدوين .

حدّق الجندى فى وجهه بدهشة ، قبل أن يقـول فـى عصبية :

ـ لسنا عدوين ؟! لقد قتلت أحد زملائى ، وأفقـدت الثانى وعيه ، وأصبتنى برصاصة فى ساقى .

جلس (أمجد) إلى جواره ، واسـتند إلـى مدفعـه ، قائلاً :

ـ استعد الواقعة كلها ، وستجد أننى كنت أدافع عن نفسى ، ولم أكن أهاجمكم قط ..

حاول الجندى أن يقول شيئًا ، إلا أنه اكتفى بالتطلّع

إلى وجـه (أمجـد) لحظـة ، قبـل أن يشيـح بوجهـه ، متمتمًا :

ـ إننا ننفذ الأوامر .

سأله (أمجد) فى اهتمام :

ـ لمـاذا ؟!

التفت إليه الجندى فى دهشة ، مكررًا :

ـ لماذا ؟! ماذا تعنى ؟! إننا ننفذ الأوامر ، دون أن نسأل لماذا ؟! هذا واجبنا .

هزّ (أمجد) رأسه ، قائلاً :

ـ ليس هـذا مـا قصدتـه .. لقد كنـت أتسـاءل عـن الهدف ، الذى أتيتـم من أجلـه إلـى هنـا .. أعنـى أيـة أوامـر تلـك التـى تنفذونهـا ؟! أن تقتلـوا الآمنيـن ، وتحرقوا منازلهم ، وتعتقلوا المستشار الأمنى الخـاص لرئيس الجمهورية ؟!

انتفض جسد الرجل فى ارتياع ، وهو يهتف :

ـ المستشار الأمنى لرئيس الجمهورية ؟! وما شأننا نحن بمؤسسة الرياسة ؟!

بدت الدهشة على وجه (أمجد) ، وهو يقول :

ـ عجبًا ! ألم يخبرك أحد من أنا يا رجل ؟!

انعقد حاجبا الجندى فى توتر ، وهو يمسك موضع إصابة ساقه ، ويتطلَّع إليه ، متسائلاً فى حذر :

ـ ومن أنت بالضبط ؟!

أجابه (أمجد) بنفس الدهشة :

ـ أنا المستشار الأمنى لرئيس الجمهورية يا رجل .. ألم يخبرك أحد بهذا قط ؟!

اتسعت عينا الرجل عن آخرهما ، وهو يحدِّق فى وجهه غير مصدِّق ، وتمتم :

ـ مستحيل ! لا يمكن أن تكون كذلك ! مستحيل !

أشار إليه (أمجد) ، قائلاً :

ـ إننى أذكر وجهك جيِّدًا يا هذا .. لقد كنت أحد الجنود ، الذين شاركوا فى اعتقالى ، وفى اعتقال ضابطى الحرس الجمهورى ، اللذين صحبانى إلى هنا .

هتف الجندى :

ـ إنهما لم يكونا ضابطين حقيقيين .. لقد احتلَّت تلك الظلال أجسادهم .

انعقد حاجبا (أمجد) فى شدة ، وهو يقول :

ـ الظلال ؟! أية ظلال ؟!

عاد الجندى يحدِّق فى وجهه ، قائلاً :

ـ كيف تجهل أمر تلك الظلال ، ما دمت المستشار الأمنى لرئيس الجمهورية ؟! كيف يمكن أن تجهل سبب وجودنا الحقيقى هنا ؟!

غمغم (أمجد) :

ـ إذن فأنتم هنا بسبب ظلال .

ثم عاد يسأله :

ـ وما طبيعة تلك الظلال بالضبط ؟!

تضاعف الشكّ فى عينى الجندى ، وهو يتطلَّع إليه ، ثم انتقلت عيناه فجأة إلى نقطة ما خلف ظهره ، فتحرَّك (أمجد) فى سرعة ، واستدار ليواجه تلك النقطة ، التى يتطلَّع إليها الجندى ، و ...

ولمحت عيناه كعب مدفع ليزرى ، يتجه إلى رأسه مباشرة ..

وفى سرعة ، أبعد (أمجد) رأسه ، و ...

ولكن كعب المدفع الليزرى كان أكثر سرعة ..

لذا ، فقد ارتطم برأسه فى عنف ..

وفى اللحظة التالية مباشرة ، أظلمت الدنيا كلها .. تمامًا ..

★ ★ ★



وفى سرعة ، أبعد (أمجد) رأسه ، و . . . ولكن كعب المدفع الليزرى كان أكثر سرعة . . لذا ، فقد ارتطم برأسه فى عنف . .

تحرّكت أصابع (نشوى) بسرعة كبيرة ، على أزرار كمبيوتر السيارة ، وهى تغمغم :

ـ لقد أوشكت على الانتهاء .. معرفتى بالنظام الذى أتعامل معه أفادتنى كثيرًا ، فلقد تجاوزت النظام الأمنى كله ، ودرت حوله ، وأوقفت فاعلية مراقبة محاولات فك الشفرة ، ثم تعاملت مع الشفرة نفسها على نحو مباشر ، و ...

وضغطت زرًّا أخيرًا ، هاتفة :

ـ وتغلّبت عليها .

لم تكد تطلق هتافها ، حتى تـألّقت أضواء كمبيوتر السيارة كلها دفعة واحدة ، ثم خبت بغتة ، فتراجعت (نشوى) ، مطلقة شهقة ذعر ، فى حين ضغط (نور) فرامل السيارة بكل قوته ، وهو يهتف :

ـ ماذا حدث ؟!

أطلقت إطارات السيارة صريرًا مخيفًا ، وهى تفقد توازنها لحظة ، قبل أن تتوقّف إلى جانب الطريق ، وتبعتها سيارة (أكرم) ، على النحو نفسه ، وقفز منها هذا الأخير ، واندفع كالصاروخ نحو سيارة (نور) ، هاتفًا :

ـ ماذا أصابكم ؟!

هتفت (نشوى) ، وهى تشير إلى كمبيوتر السيارة فى توتر :

ـ لقد أوقف أحدهم عمل شبكة الكمبيوتر .

سألها (أكرم) فى دهشة :

ـ أهذا ممكن ؟!

أجابته فى سرعة :

ـ بالتأكيد ؛ فأجهزة الكمبيوتر ، فى السيارات الخاصة بكل الجهات الأمنية ، ترتبط كلها بشبكة اتصالات ليزرية خاصة ، يمكن إيقاف عملها ، فى سيارة القيادة ، إذا ما حتّمت الضرورة هذا .

انعقد حاجبا (نور) فى شدة ، و(سلوى) تهتف :

ـ ربّاه ! هذا يعنى أن العقيد (باسل) قد كشف أمرنا بالفعل .

غمغم (نور) :

ـ بل يعنى ما هو أسوأ .

سأله (رمزى) ، الذى وصل مع الدكتور (حجازى) لاستطلاع الأمر :

ـ وما الأسوأ من هذا يا (نور) ؟!

أجابه (نور) فى حنق :

ـ الأسوأ منه أننا قد أضعنا فرصة مثالية ، لإبلاغ كل ما يحدث هنا للمسئولين ، فالكمبيوتر الذى كانت تعمل عليه (نشوى) ، كان وسيلة اتصال مثالية ، بكل شبكات المعلومات فى العالم .. بل كان وسيلة الاتصال الوحيدة بالعالم الخارجى ، ولكننا لم ننتبه إلى هذا فى الوقت المناسب .

عضت (نشوى) شفتيها ، قائلة :

ـ أنا المسئولة عن هذا .. كان ينبغى أن أخبركم منذ البداية .

قال (رمزى) فى حزم :

ـ ربما كان من حسن حظنا أنك لم تفعلى يا (نشوى) .

التفت إليه (أكرم) فى دهشة ، هاتفًا :

ـ أى قول هذا يا (رمزى) ؟! لقد كانت بالفعل فرصة نادرة ؛ لإبلاغ الموقف للمسئولين .

تطلّع إليه (رمزى) ، قائلاً بنفس الحزم :

ـ أى مسئولين ؟! أولئك الذين تسبّبوا فى حدوث هذا ، أم الذين أصدروا حكمًا بإعدامنا ؟!

ثم أدار عينيه فى وجوههم ، مستطردًا فى حدة :

- ألم تستوعبوا الأمر بعد يا رفاق ؟! إننا نقاتل هنا وحدنا .. لم تعد هناك جهة نستند إليها ، أو إدارة تحمينا .. الكل تخلّى عنا .. بل ونقلنا من خانة الأصدقاء إلى قائمة الأعداء .. إننا نحارب الجميع بلا استثناء .. رجال الجيش .. جيشنا .. وعلماء مركز الأبحاث ، الذين احتلوا موقعنا ، وحتى إدارة المخابرات العلمية نفسها ، التى أصدرت قرارًا بتنحيتنا عن العمل ، وبتجريدنا من أسلحتنا ، واعتقالنا ، ثم إعدامنا فيما بعد .

وهزّ رأسه فى أسى ومرارة ، متابعًا :

- صدقونى .. إننا نقاتل الآن بوجوه عارية .

ران عليهم الصمت تمامًا ، بعد ما أنهى (رمزى) عبارته ، وتبادلوا جميعًا نظرات متوترة ، قبل أن يقول (نور) فى حزم :

- كلامك سليم تمامًا يا (رمزى) ، وتحليلك للموقف يستند إلى حقائق واضحة ، لا تقبل الشك ، ولكن هذا لا يعنى أن نتوقّف عن القتال .

وأدار عينيه فى وجوههم بدوره ، قبل أن يستطرد :

- وهذا لأننا لا نعمل من أجل الجيش ، أو إدارة الأبحاث ، أو جهاز المخابرات العلمية ، أو حتى من أجل مؤسسة الرياسة نفسها .

وانعقد حاجباه فى حزم أكبر ، وهو يتابع :

- إننا نعمل ونقاتل من أجل (مصر) .. (مصر) وحدها .. وفى سبيل أمنها وسلامتها لن نتردَّد فى محاربة العالم أجمع ، لو اقتضى الأمر .. وفى التضحية بأرواحنا نفسها ، دون أدنى تفكير ، عندما تتطلَّب منا الظروف هذا .

وبلهجة وحزم القائد ، أشار بيده ، مكملاً :

- وسنمضى فى طريقنا ، مهما كانت الظروف والتضحيات .. هل ستتبعونى ، اعتمادًا على هذا المبدأ ، أم ...

قاطعه (أكرم) فى حسم ، وهو يرفع مدفعه :

- لا يوجد (أمْ) يا (نور) .. إننا لن نتخذ هذا القرار الآن .. لقد اتخذناه منذ بدأنا عملنا معًا .

هتف (رمزى) مؤيِّدًا :

- نعم يا (نور) .. سنقاتل جميعًا بيد واحدة كالمعتاد .

وهتف الدكتور (حجازى) ، مكملاً :

- من أجل (مصر) .

تنهَّد (نور) فى ارتياح ، مغمغمًا :

- إننى أدرك هذا يا رفاق .

ثم التفت إلى (نشوى) ، مستطردًا :

- ولكن السؤال المهم الآن هو : ما مصير هذه الخزانة الإليكترونية ، بعد ما أصاب شبكة الكمبيوتر الليزرية ؟!

خفضت (نشوى) عينيها إلى الخزانة الإليكترونية ، وخفق قلبها فى قوة ، وهى تتمتم :

- لست أدرى .

كانت أصابعها ترتجف ، وهى تمتدّ إلى زر رتاج الخزانة الإليكترونية ، وعقلها يتساءل فى هلع : هل توقَّف كمبيوتر السيارة قبل أن يرسل إشارته الأخيرة إلى الخزانة ، أم بعدها ؟!

سؤال لا يمكن حسمه إلا بضغطة زر ..

ضغطة واحدة ، إما أن تنفتح بعدها الخزانة ..

أو يتم إتلاف محتوياتها ..

ضغطة واحدة ، تردَّدت (نشوى) لحظة ، قبل أن

تحسم أمرها ، وتضغط بها زر رتاج خزانة الأسطوانات الإليكترونية ..

ومع تلك الضغطة ، خفقت قلوب الجميع فى عنف ، وتعلَّقت عيونهم بالخزانة ، التى ظلَّت صامتة لحظة ، ثم انبعث منها صوت أنثوى آلى ، يقول :

- مرحبًا يا دكتور (وائل) .

ومع نهاية العبارة ، دار غطاؤها حول نفسه ، ليكشف محتوياتها ..

وبكل انفعالها ، هتفت (نشوى) :

- لقد نجحت .

أغلق (نور) عينيه ، وهو يتمتم :

- حمدًا لله .. حمدًا لله .

أما (سلوى) ، فقد حدَّقت مع الآخرين فى محتويات الخزانة الإليكترونية ، قبل أن تقول :

- عجبًا ! إنها تحوى أسطوانة واحدة .

التقطت (نشوى) الأسطوانة ، ودسَّتها فى جيبها ، قائلة :

- المهم ما تحويه هذه الأسطوانة الواحدة .

تنهَّد (نور) ، قائلاً :

ـ أعتقد أننا بحاجة ، مرة أخرى ، إلى جهاز كمبيوتر .

هزَّ الدكتور (حجازى) رأسه ، قائلاً :

ـ يا للعجب ! المرء يمل رؤية أجهزة الكمبيوتر فى كل مكان ، كلما غدا أو راح ، وعندما يحتاج إليها ، لا يجد أيًا منها حوله .

أجابه (نور) فى حزم :

ـ المشكلة الآن أننا لا نحتاج إلى مجرَّد كمبيوتر ، بل نحتاج إلى كمبيوتر داخل الحى الراقى بالتحديد .

انبعث من خلف الأشجار المجاورة صوت يقول بغتة :

ـ أعتقد أننى أستطيع منحكم هذا ..

استدار الجميع فى سرعة إلى مصدر الصوت ، واتجهت فوهات مدافعهم الآلية إليه ، وصاحبه يبرز من خلف شجرة كبيرة ، مستطردًا :

ـ السؤال هو : ترى هل يمكنكم الوصول إليه ؟!

حدَّق الجميع فى صاحب الصوت ، وقد تفجَّرت فى أعماقهم دهشة كبيرة ..

دهشة بلا حدود ..

★ ★ ★

أدى قائد الحرس الجمهورى التحية العسكرية فى احترام ، أمام رئيس الجمهورية ، الذى سأله فى لهفة متوترة :

ـ أين كنت يا (سليمان) ؟! المفترض أن تهرع إلى هنا ، فور احتياجى إليك .

أجابه اللواء (سليمان) فى احترام :

ـ وهذا ما فعلته يا سيادة الرئيس .

هتف الرئيس فى حدة :

ـ لقد استغرقت نصف ساعة كاملة .

أجابه الرجل ، بنفس الهدوء والاحترام :

ـ سأحاول اختصار الوقت أكثر ، فى المرة القادمة يا سيادة الرئيس .

انعقد حاجبا الرئيس فى توتر ، وهو يقول :

ـ هذا لو أنه هناك مرة قادمة .

انتقل توتره إلى قائد الحرس الجمهورى ، الذى سأل فى حذر :

ـ هل يقصد فخامة الرئيس أن يعفينى من منصبى ؟!

زفر الرئيس ، ولوَّح بيده ، قائلاً :

ـ بل أقصد أننى لا أضمن بقائى أنا فى منصبى .

تضاعف توتر قائد الحرس الجمهورى ، وهو يسأل :

ـ ماذا هناك بالضبط يا فخامة الرئيس ؟!

أشار إليه الرئيس ، قائلاً :

ـ اجلس يا (سليمان) .. اجلس وسأشرح لك الأمر كله .

لم يستغرق الوقت سوى ربع الساعة ، ليروى رئيس الجمهورية كل ما يعرفه من معلومات ، حول حادث مدينة (السادس من أكتوبر) لقائد حرسه ، الذى استمع إليه فى اهتمامٍ وتوتر شديدين ، قبل أن ينهى الرئيس حديثه ، قائلاً :

ـ (أمجد) لم يعد من المدينة ، ولم يرسل أية تقارير ، حول ما يحدث هناك ، وها هى ذى التقارير المشتركة لوزير الدفاع ، والقائد الأعلى للمخابرات العلمية ، ورئيس مركز الأبحاث .. اقرأها وستدرك لماذا أشعر بكل هذا التوتر .

التقط قائد الحرس الجمهورى التقريرين ، وراح يقرؤهما فى اهتمام ، ثم لم يلبث أن أعادهما إلى الرئيس فى صمت ، ونهض من مقعده ، وراح يسير فى الحجرة ، وهو يعقد كفيه خلف ظهره ، ووجهه

يحمل علامات تفكير جاد عميق ، والرئيس يتابعه ببصره فى اهتمام قلقٍ ، قبل أن يفقد صبره ، ويهتف :

ـ حسن .. فيم تفكر بالضبط ؟! أهى مؤامرة ؟!

توقَّف قائد الحرس الجمهورى عن السير ، والتفت إلى الرئيس ، مجيبًا فى حزم :

ـ لا يوجد تفسير آخر يا سيادة الرئيس .. إنها مؤامرة واضحة ، حتى إن رائحتها القوية تزكم الأنوف .

هتف به الرئيس :

ـ فيم كنت تفكر إذن ؟!

أجابه فى سرعة :

ـ فى كيفية التصدِّى لها .

هبَّ الرئيس من مقعده ، قائلاً :

ـ لا يوجد سوى سبيل واحد يا رجل .. استنفر قواتك كلها(*) ، وانطلقوا إلى مدينة (السادس من أكتوبر) ..

(*) يضمّ الحرس الجمهورى فى المعتاد ، ألوية مصغَّرة من كل أفرع الجيش .. المشاه ، والمدفعية ، والمدرعات ، وحتى سلاح الطيران ، ومهمته الأولى هى الدفاع عن رئيس الجمهورية ، وتأمين مؤسسة الرياسة ، ضد أية اعتداءات ، أو محاولة انقلاب ، وتقوم بها فرق مسلَّحة .

قاتلوا هؤلاء المتمردين بكل قوتكم ، واسحقوهم سحقًا لو اقتضى الأمر .. دعنا نسبقهم ، قبل أن يبدءوا عملية تطوير الهجوم .

انعقد حاجبا الرجل ، وهو يشدّ قامته على نحو عسكرى ، متسائلا :

- معذرة يا سيادة الرئيس ، ولكننى أتساءل : أهو أمر أم مجرّد اقتراح .

لم يفهم الرئيس ما يعنيه هذا ، فتساءل فى حيرة :

- وما الفارق ؟!

أجابه قائد الحرس فى حزم :

- فارق كبير يا سيّدى ، فالأوّل لا أملك سوى تنفيذه ، أما الثانى ، فقد أجرؤ على منح نفسى حق مناقشته ، أو ...

تردّد لحظة ، فهتف به الرئيس فى عصبية :

- أو ماذا ؟ تكلّم مباشرة يا رجل ، فليس لدينا وقت للتردّد والحذر .

شدّ قائد الحرس قامته مرة أخرى ، وقال :

- أو الاعتراض عليه يا سيادة الرئيس .

حدّق الرئيس فى وجهه لحظة ، وراودته بعض الشكوك ، وهو يسأل فى حذر :

- الاعتراض عليه ؟! ولماذا يا (سليمان) ؟

أجابه الرجل فى حزم ، دون أن ينتبه إلى ما اعتراه :

- لو أننا استنفرنا قوة الحرس الجمهورى بأكملها ، وخرجنا لمحاربة قوة الصاعقة ، فى مدينة (السادس من أكتوبر) ، سيتحوّل الأمر هناك إلى مذبحة بشعة ، ستراق فيها الدماء فى غزارة ، وسيبدو الأمر ، الذى لن يمكن إخفاؤه ، أشبه بحرب أهلية ، أو محاولة انقلاب ، مما سيهز حتمًا الاستقرار السياسى ، وربما الاقتصادى أيضًا ، كما أننا ، فى هذه الحالة ، سنترك القصر الجمهورى بلا حراسة تقريبًا ، مما يعنى أن نضاعف فرصتهم فى الفوز ، لو حاولوا اقتحامه بالقوة .

أدرك الرئيس من هذا الاقتراح ، أن قائد حرسه ما زال يدين له بولاء حقيقى ، فاستعاد ثقته واهتمامه ، وهو يسأله :

- ماذا تقترح إذن ؟!

أشار اللواء (سليمان) بيده ، قائلاً :

- أن نضرب مركز القيادة مباشرة .

فهم الرئيس ما يعنيه الرجل ، وعلى الرغم من هذا ، فقد سأله فى اهتمام :

ـ ماذا تعنى ؟!

أجاب الرجل فى حزم قيادى :

ـ طبقًا لما رويته لى سيادتكم ، فوزير الدفاع ، والقائد الأعلى للمخابرات العلمية ، ورئيس مركز الأبحاث ، يجتمعون طوال الوقت ، فى مركز قيادة المخابرات العلمية ، وأنه من المفترض أن يرسلوا تقريرًا مشتركًا جديدًا ، خلال نصف الساعة على الأكثر ، لذا فسأصطحب فرقة من أفضل رجالنا ، وأذهب إلى مركز القيادة ، بحجة أن سيادتكم تتعجَّل التقرير ، وعندما أصبح أنا ورجالى هناك ، نقوم باعتقال الرجال الثلاثة ، مع إبراز أمر مباشر من سيادتكم بهذا ، وهكذا نكون قد سيطرنا على القيادة ، ومن السهل عندئذ أن نجبرهم على إصدار أمر لقواتهم فى المدينة المحاصرة بالاستسلام .

انعقد حاجبا الرئيس ، وهو يفكِّر فى الأمر بعمق ، قبل أن يرفع عينيه إلى قائد الحرس ، ويسأله فى حزم :

ـ ما الذى تحتاج إليه بالضبط ؟!

شدَّ قائد الحرس قامته مرة أخرى ، وهو يجيب :

ـ أوامر الاعتقال فحسب .

أجابه الرئيس فى سرعة :

ـ ستحصل عليها على الفور .

وفى حزم حاسم ، عاد الرئيس إلى مكتبه ، وراح يكتب أوامر الاعتقال ، ثم ذيَّلها بتوقيعه ..

وهكذا بدأت مرحلة جديدة من الصراع ..

مرحلة خطيرة ..

وعنيفة ..

★ ★ ★

اعتدل جندى الصاعقة فى غضب ، وأدار فوهة مدفعه الليزرى ، ليصوِّبها إلى رأس (أمجد) الفاقد الوعى ، قائلًا :

ـ اللعنة ! هذا الرجل يقاتل كالوحوش الكاسرة .

حدَّق زميله ، ذو الساق المصابة ، فى (أمجد) ، وهو يغمغم :

ـ إنه المستشار الأمنى الخاص لرئيس الجمهورية .

انعقد حاجبا الأوَّل ، وهو يقول فى توتر :

ـ مستشار من ؟! هل جننت يا رجل ؟! لقد أصدر القائد بنفسه أمر اعتقاله ، وهو لن يفعل هذا قط ، مع رجل بهذه الصفة .

تمتم زميله بأنفاس مبهورة :

- إنه كذلك .

قال الأوَّل فى صرامة :

- القائد كان على حق .. لقد خدعك الرجل .

ثم جذب إبرة مدفعه الليزرى ، ليدفع خزان الطاقة للعمل ، وهو يضيف :

- لذا ، فهو يستحق القتل .

هتف زميله فى ارتياع ، وهو يمسك يده فى سرعة :

- ماذا ستفعل أيها المجنون ؟!

أجابه فى حدة :

- سأقتله بالطبع .

هتف زميله :

- مستحيل ! الرجل مستشار رئيس الجمهورية بالفعل .

دفعه الأوَّل جانبًا ، وهو يقول فى حدة :

- لست أصدِّق هذا .

قالها ، وهو يصوِّب مدفعه مرة أخرى إلى رأس (أمجد) ، فهتف به زميله :

- إننى أحذِّرك .

قال فى سخرية :

- تحذرنى من ماذا ؟!

ارتبك الجندى لحظة ، قبل أن يهتف :

- القائد لم يأمرنا بقتله .

قال الأوَّل فى صرامة :

- لقد قاوم .

هتف زميله :

- ولكن القائد لم يأمر بقتله .

انعقد حاجبا الأوَّل فى غضب ، وهو يهتف :

- وبِمَ أمرنا القائد إذن ؟! أن نموت فحسب ؟!

ثم استدار يشير إلى زميلهما الصريع ، الذى خبت هالته الكهرومغنطيسية بموته ، مستطردًا فى حدة :

- لو أنك نسيت بهذه السرعة ، فاستدر لتلقى نظرة على زميلنا الصريع هذا ، وحاول أن تتذكَّر أن هذا الوغد الفاقد الوعى ، هو الذى أورده حتفه .

قال زميله ، فى توتر بالغ :

- الرجل كان يدافع عن نفسه .

هتف الأوَّل :

- ونحن ندافع عن وجودنا .

وعاد يصوِّب مدفعه إلى رأس (أمجد) ، صائحًا :
ـ بإنهاء وجوده .
هتف زميله فى عصبية :
ـ إننى أحذِّرك للمرة الأخيرة .. القائد لم يأمرنا بقتله .
قال الجندى فى صرامة :
ـ القائد أمرنا بمنعه من الفرار ، مهما كان الثمن .
قال زميله :
ـ وهذا ما فعلناه .. لقد أفقدناه الوعى بالفعل .
قال الجندى فى سخرية :
ـ إننا لم نفقده الوعى ، بل اضطررنا لقتله .. هذا ما سيتضمَّنه تقريرنا الرسمى .
صاح زميله فى حدة :
ـ تقريرك وحدك ، فتقريرى سيحوى الحقيقة فحسب .
انعقد حاجبا الجندى فى حنق ، وهو يهتف بزميله :
ـ لماذا تدافع عنه ؟!
أجابه فى حدة :
ـ لأننى أصدِّق روايته .

لوَّح الجندى بذراعه ، هاتفًا :
ـ لا يوجد دليل واحد عليها .
تألَّقت عينا زميله ، وهو يهتف :
ـ آه .. الدليل .. صدقت يا رجل .. لا بد من وجود دليل .
ثم مال نحو (أمجد) ، وراح يبحث فى جيوبه فى سرعة ، قبل أن يلتقط حافظته ، مكملاً :
ـ من المؤكَّد أننا سنجد هويَّته هنا .
فتح الحافظة فى سرعة ، والتقط منها بطاقة الهوية ، وامتقع وجهه فى شدة ، عندما رأى شعار رياسة الجمهورية عليها ، واختنق صوته فى حلقه ، وهو يتمتم :
ـ ربَّاه ! إنه مستشار الرئيس بالفعل .
اختطف الجندى بطاقة الهوية من يده ، هاتفًا :
ـ مستحيل .. إنها بطاقة زائفة حتمًا .
أجابه زميله فى شحوب :
ـ أنت تعلم أن هذه البطاقات غير قابلة للتزوير .
هزَّ الجندى رأسه فى قوة ، هاتفًا :
ـ مستحيل ! القائد لا يخطئ أبدًا .. مستحيل !

أشار زميله بيده ، قائلاً فى توتر :
- فليكن يا رجل .. سنضع الاحتمالين فى رأسنا .. فإما أن يكون هذا الرجل هو مستشار الرئيس بالفعل ، أو أنه شخص زائف .. لماذا لا نمسك إذن العصا من منتصفها كما يقولون .

سأله الجندى فى عصبية :
- وكيف ؟!
أجابه فى سرعة :
- لقد أفقدته الوعى بالفعل .. اتركه يحيا إذن ، حتى تتضح الأمور ، فأخشى ما أخشاه أن نتورَّط فى تمرُّد عسكرى ، دون أن ندرى .

انعقد حاجبا الجندى فى شدة ، وهو يدير الأمر فى رأسه ، فقال زميله ، مؤيِّدًا فكرته :
- على الأقل ، القائد لم يأمر بقتله .

تأوَّه (أمجد) فى هذه اللحظة ، وندت منه حركة ، تشفَ عن بدء عودته إلى وعيه ، فصوَّب إليه الجندى مدفعه بسرعة ، وهتف زميله :
- لا تقتله .

لم يكد هتافه ينطلق ، حتى ارتفع رنين جهاز

الاتصال الليزرى ، فى جيب الجندى ، فالتقطه فى سرعة ، ووضعه على أذنه ، هاتفًا :
- فى خدمتك أيها القائد .

انعقد حاجباه فى شدة ، وهو يستمع إلى القائد ، قبل أن يقول فى حزم :
- أمرك أيها القائد .. عُلِمْ وسينفذ فورًا .

تأوَّه (أمجد) مرة أخرى ، عند هذه النقطة ، ودفع الأرض بكفيه ، وهو يعتدل جالسًا ، فأدار الجندى فوهة المدفع إليه فى صرامة شديدة هذه المرة ، وهو يقول :
- القائد أصدر أوامره بقتله .

واتسعت عينا زميله فى ارتياع ، وهو يدرك أنه لم يعد أمامه ما يفعله ..
على الإطلاق .

* * *



٦ - الظـــــلّ ..

ارتسمت الدهشة بأقصى صورها ، على وجوه (نور) ورفاقه ، وهم يحدقون فى وجه (هيثم) ، الذى وقف أمامهم فى حزم وصرامة ، لا يتناسبان قط مع عمره وهيئته ، وعيناه تدوران فى وجوههم ، وكأنما ينتظر جوابهم ..

وفى دهشة منزعجة ، قطعت (سلوى) ذلك الصمت ، الذى أعقب ظهور (هيثم) ، وهى تسأله :

- ما الذى أتى بك إلى هنا أيها الصبى ؟! الساعة تقترب من الرابعة صباحًا ، والمكان بعيد عن المناطق السكنية ، و ...

قاطعها بصوت عميق صارم :

- هل ستذهبون إلى الفيلا أم لا ؟!

تبادل الجميع نظرة مدهشة أخرى ، قبل أن يسأله (نور) :

- من أنت يا بنى ؟!

أشار (هيثم) بيده ، مجيبًا :

- وهل يصنع هذا فارقًا الآن ؟! أنتم تحتاجون إلى كمبيوتر ، بالقرب من فيلا الدكتور (وائل شوقى) ، وأنا أستطيع منحكم إياه ، عندما تصلون إلى المدينة ، فبم يمكن أن يفيد اسمى فى هذا ؟!

انعقد حاجبا (نشوى) ، وهى تتطلّع إليه فى توتر ، فى حين سأله الدكتور (حجازى) فى حذر ، وهو يشير إلى الزى العسكرى ، الذى يرتديه :

- قل لى يا ولدى : هل تعرف من نحن ؟!

أجابه (هيثم) ، وعيناه تدوران فى وجوههم مرة أخرى :

- أنتم أفراد ذلك الفريق العلمى الشهير .. أليس كذلك ؟!

ومرة أخرى ، تطلّع إليه الجميع فى دهشة ..

فمع زى القوات الخاصة ، الذى ما زالوا يرتدونه ، ومع صبى فى مثل عمره ، لم يلتق بهم قط من قبل ، كان من العجيب أن يتعرّفهم بهذه الثقة ..

وفى توتر ، غمغم (رمزى) :

- هذا الفتى ليس طبيعيًّا .

قال (أكرم) ، فى شىء من العصبية :

- بالتأكيد .. إنه يتحدَّث على نحو يفوق عمره ، و ...

قاطعه (رمزى) :

- ليس هذا ما قصدته .

ثم عاد يكرِّر ، فى توتر أكثر ، وهو يتطلَّع إلى وجه (هيثم) جيِّدًا :

- إنه ليس طبيعيًا .

وهنا هتفت (نشوى) :

- ربَّاه ! إنك هو .

لم يفهم أى من رفاقها ما تعنيه ، فى اللحظة التى نطقت فيها عبارتها ..

ولكن ، فى اللحظة التالية مباشرة ، أدركوا الموقف كله ..

أدركوا ما الذى عنته (نشوى) بهتافها ، وما الذى كان يقصده (رمزى) ، كخبير فى الطب النفسى ، عندما قال : إن الصبى ليس طبيعيًا ..

هذا لأن عينا (هيثم) تألَّقتا بغتة ، بذلك البريق الأحمر المخيف ، وهو يقول بصوت عميق ..

عميق للغاية :

- نعم .. أنا هو .

وعلى الرغم من أنها أوَّل من انتبه إلى هذا ، فقد أطلقت (نشوى) صرخة رعب ، وهى تتراجع بحركة حادة ، فى حين شهقت (سلوى) ، هاتفة :

- يا إلهى ! يا إلهى !

وانعقد حاجبا (نور) فى شدة ، وتراجع (رمزى) بحركة عنيفة ، واتسعت عينا الدكتور (حجازى) عن آخرهما ، فى حين رفع (أكرم) فوهة مدفعه بحركة غريزية ، ليصوِّبها إلى الصبى ، الذى تابع بنفس الصوت العميق :

- وهذا أيضًا لن يصنع فارقًا .

مضت لحظة أخرى من الصمت ، والجميع يحدقون فيه ، قبل أن يلوِّح (أكرم) بمدفعه فى وجهه ، هاتفًا فى حدة :

- هل تتوقَّع منا أن نمنحك ثقتنا ؟!

أجابه الصبى فى برود صارم :

- أنتم تحتاجون لمساعدة محدودة ، وسأقدمها لكم .

ثم دس يده فى جيبه ، فصاح به (أكرم) ، وهو يتراجع بحركة حادة :



مدّ (نور) يده ، والتقط منه الأسطوانة فى حذر ، وهو يسأله :
ـ ما الذى تحويه ؟! ..

ـ احترس .. سأطلق النار لو ...

قبل أن يتمّ عبارته ، كان الصبى قد أخرج أسطوانة الفيديو من جيبه بالفعل ، ومدّ يده بها إليهم ، قائلاً :

ـ وهناك ما أريد منكم أن تشاهدوه .

مدّ (نور) يده ، والتقط منه الأسطوانة فى حذر ، وهو يسأله :

ـ ما الذى تحويه ؟!

أجاب بذلك الصوت العميق المخيف :

ـ كل شىء .

تطلّع إليه (نور) لحظة ، قبل أن يغمغم :

ـ يا إلهى !! إنهم يتطوّرون بسرعة مدهشة ..

ردّد (أكرم) فى عصبية :

ـ يتطوّرون ؟!

أجابه (نور) فى عصبية :

ـ نعم يا (أكرم) .. تلك الظلال تطوّر معلوماتها بسرعة كبيرة ، بشأن التعامل مع الأجساد البشرية .. لقد احتلوا فى البداية أجساد الموتى ، وأرهقوا أنفسهم فى تحريك خلايا ميتة ، أما الآن ، فهم يسيطرون على الأجساد الحية ، والعقول ، ويمكنهم

الاستفادة من كل إمكانياتها .. القوة ، والحواس ، وربما الذاكرة والمهارات المكتسبة أيضًا .. تطوُّر مدهش ، خلال ساعات محدودة للغاية .

غمغم الدكتور (حجازى) بصوت مرتجف ، وهو يحدِّق فى وجه (هيثم) :

- هذا يجعلنى أتساءل : كم سيبلغ تطوّرهم ، بعد يوم كامل ، أو أسبوع ؟!

تمتم (رمزى) :

- سيمكنهم السيطرة علينا تمامًا .

قال (أكرم) فى عصبية :

- تقصد على عالمنا .

نقل الصبى بصره بينهم مرة أخرى ، وعيناه المشتعلتان بذلك البريق الأحمر تتوهجان أكثر وأكثر ، وهو يقول ، وقد ازداد صوته عمقًا :

- هل تقبلون العرض أم ترفضونه ؟!

سأله (نور) :

- وما هذا العرض بالضبط ؟!

أشار الصبى بيده ، قائلاً :

- واصلوا طريقكم إلى الحى الراقى ، ولكن

لاتحاولوا دخوله ، وإنما انتظرونى عند الحديقة التذكارية قبله ، حتى لا تتورَّطوا فى صراع مبكِّر مع رجال جيشكم ، وسأحضر لكم كل ما تحتاجون إليه هناك .

سألته (سلوى) ، فى توتر بالغ :

- ما الذى تقصده بكل ما نحتاج إليه ؟!

أجابها فى حزم :

- كل ما تحتاجون إليه يا سيِّدتى .

سألته فى حدة :

- وكيف تعرف ما نحتاج إليه ؟!

أجابها فى صرامة :

- أنا أعرف .

ثم استدار ، عائدًا إلى تلك الأشجار الكثيفة ، مكملاً بنفس الصوت العميق :

- تذكَّروا .. عند الحديقة التذكارية .

اتسعت عيونهم فى دهشة ، وهتفت (نشوى) :

- ولماذا لا تصحبنا إلى هناك ؟!

لم يجب الصبى ، وهو يتحرَّك بسرعة أكبر .. وأكبر ..

وأكبر ..

وعندما اتسعت عيونهم هذه المرة ، لم يكن من الممكن أبدًا أن نصف هذا بالدهشة ..

بل بالذهول ..

هذا لأن سرعة الصبى تضاعفت إلى حد مذهل ، حتى بدا أشبه بسيارة صغيرة ، تشقّ طريقها بين الأشجار ..

ومن بين ظلال الأشجار الأخرى ، انبعث ظلان مخيفان ، انطلقا يتبعانه ، بنفس السرعة المذهلة ..

ولثوان ، لم ينبس (نور) أو رفاقه بحرف واحد ..

ثم فجأة ، هتف (أكرم) ، بقدر مدهش من العصبية :

ـ هل ستمنحونه ثقتكم ؟!

أجابه (نور) فى حزم :

ـ ليس لدينا بديل .

صاح (أكرم) :

ـ ماذا تقول يا (نور) ؟! ألم تر ما فعله ذلك الشىء بالصبى ؟! أنت قلتها بنفسك .. لقد سيطروا على الأجساد البشرية فى براعة ، خلال بضع ساعات فحسب .. ألم تسأل نفسك : لماذا يفعلون هذا ؟!

ألم يخطر ببالك أنهم غزاة ، يسعون للسيطرة على الأرض ، بكل ما عليها ومن عليها ؟!

انعقد حاجبا (نور) فى شدة ، وهو يتمتم :

ـ هذا احتمال وارد .

قال (رمزى) فى توتر :

ـ احتمال بالغ الخطورة يا (نور) ، ففى ظل ما نواجهه ، قد تبدو لنا تلك الظلال فى صورة صديقة ، خاصة وهى تمدّ لنا يد العون ، فى نفس الوقت الذى يطاردنا فيه جيشنا ، ولكن تذكّر أن كل الهدف من هذه المعاونة ، هو أن نبلغ فيلا الدكتور (وائل شوقى) ، ونحل لغز الاتصال بين العالمين ، وربما كان الهدف الرئيسى لهذا هو فتح الفجوة أمامهم عن آخرها ، حتى يمكنهم عبورها لغزو عالمنا .

انعقد حاجبا (نور) أكثر وأكثر ، وهو يقول :

ـ إننا نحتاج بالفعل إلى العودة لفيلا الدكتور (وائل) ، ولو أن تلك المخلوقات ستمهّد لنا السبيل إلى هذا ، فلا ينبغى أن نرفض هذه الفرصة أبدًا ، وبعدها سنتخذ القرار بأنفسنا .

ارتجف صوت (نشوى) ، وهى تقول :

ـ ربما لن يكون باستطاعتنا عندئذ اتخاذ أية قرارات .

التفت إليها الجميع فى تساؤل ، فأضافت بنفس الصوت المرتجف :

ـ إذا ما احتلت تلك الظلال أجسادنا .

صمت (نور) لحظة ، والجميع يتطلعون إليه فى ترقب ، ثم لم يلبث أن أجاب فى حزم :

ـ لو أنها ترغب فى هذا ، فمع ما اكتسبته من خبرة ، لم تكن لتعجز عن احتلال أجسادنا ، وتسييرها حسبما تشاء .

والتقط نفسًا عميقًا ، فى محاولة للسيطرة على انفعاله الشديد ، قبل أن يتابع :

ـ سأقبل المجازفة .

ران عليهم صمت ثقيل للغاية هذه المرة ، تبادلوا خلاله نظرة متوترة إلى أقصى حد ، قبل أن يغمغم (أكرم) :

ـ يبدو أنه ليس لدينا سوى هذا .

نطقها ، وعاد إلى السيارة (الجيب) العسكرية فى خطوات سريعة ، فتبعه (رمزى) والدكتور (حجازى)

فى صمت ، فى نفس الوقت الذى عاد فيه (نور) و(سلوى) و(نشوى) إلى السيارة الثانية ..

ودون تبادل كلمة إضافية ؟! انطلقت السيارتان تواصلان طريقهما ، وقد سيطرت على كل العقول فكرة واحدة ، فى شكل تساؤل محدود ..

ترى لماذا تسعى تلك الظلال لمساعدتهم ، على هذا النحو ؟!

لماذا ؟!

لماذا ؟!

★ ★ ★

انعقد حاجبا وزير الدفاع فى شدة ، وهو يتلقى مكالمة داخلية خاصة ، عبر هاتفه المحمول ، دون أن ينبس ببنت شفة ، فتعلقت به عيون الدكتور (ناظم) ، والقائد الأعلى للمخابرات العلمية فى توتر ، حتى أنهى المحادثة ، قائلاً فى عصبية واضحة :

ـ فليكن .. أبلغنى أية تطورات أخرى فور حدوثها .

ثم أنهى المحادثة فى حدة ، فهتف به القائد الأعلى :

ـ إنها أنباء سيئة .. أليس كذلك ؟!

أومأ الوزير برأسه إيجابًا ، فهوى قلب الدكتور (ناظم) بين قدميه ، وهو يهتف :

- يا إلهى ! يا إلهى !

أما القائد الأعلى ، فقد بذل جهدًا حقيقيًا ليزدرد لعابه ، قبل أن يسأل :

- إلى أية درجة من السوء ؟!

صمت الوزير بضع لحظات أخرى ، بدت للرجلين أشبه بدهر كامل ، قبل أن يجيب فى صرامة عصبية :

- الرئيس استدعى اللواء (سليمان حازم) ، قائد الحرس الجمهورى ، فى الثالثة صباحًا .

اتسعت عينا القائد الأعلى ، وهو يتراجع فى مقعده فى بطء مصدوم ، فى حين دارت عينا الدكتور (ناظم) فى حيرة ، وهو يقول :

- وما الذى يعنيه هذا ؟! ما الذى يمكن أن يعنيه ؟!

التفت إليه وزير الدفاع ، مجيبًا فى حزم :

- الرئيس قرَّر اتخاذ خطوة قوية .

سأله الدكتور (ناظم) :

- مثل ماذا ؟!

أجابه الوزير فى حدة :

- ومن يدرى ؟! المهم أنه قرَّر ألا يجلس صامتًا ، مكتفيًا بقراءة تقاريرنا المشتركة ، أو انتظار ما سيعود

به مستشاره الأمنى ، وهذا يمكن أن يعنى الكثير .. الكثير جدًّا .

غمغم القائد الأعلى فى مرارة :

- لقد فقد ثقته بنا .

تمتم الدكتور (ناظم) فى ارتياع :

- أو توصَّل إلى الحقيقة .

ثم دفن وجهه بين كفيه ، هاتفًا :

- ربَاه ! كيف تورَّطنا إلى هذا الحد ؟! كيف ؟!

صاح به الوزير فى غضب :

- كفى .. إننا لن نجلس هنا ، لنبكى ما حدث .. لا بد أن نجد حلاً لما سيحدث .

قلب القائد الأعلى كفه ، قائلاً :

- أى حل ؟! لقد خسرنا المعركة .. لا مناص من الاعتراف بهذا .

هتف الوزير :

- خسرنا المعركة ؟! محال يا رجل .. لا يمكن أن يمضى الأمر بهذه البساطة أبدًا .

قال الدكتور (ناظم) فى انهيار :

- وماذا بيدنا لنفعله ؟!

أجابه الوزير فى صرامة :

ـ الكثير .

انعقد حاجبا القائد الأعلى ، وهو يقول فى حدة :

ـ مثل ماذا ؟!

طال صمت الوزير هذه المرة ، وبدت ملامحه صارمة قاسية ، إلى أقصى حد ، وهو يتطلَّع إلى الرجلين ، قبل أن يقول :

ـ قلت لكما من قبل : إن كل شىء موضوع فى الاعتبار .. كل شىء .

قال القائد الأعلى فى عصبية :

ـ مثل ماذا ؟!

شدّ وزير الدفاع قامته ، وهو يتحرَّك فى المكان ، قائلاً فى صرامة :

ـ راجعا معى الموقف ، وستدركان ما ينبغى عمله ، فى مثل هذه الظروف .. فمنذ ما يقرب من العام ، تقدَّم لك الدكتور (وائل) ، يا دكتور (ناظم) ، بأبحاثه الجديدة ، الخاصة بالاتصال بين العوالم المختلفة ، ولما كان ما توصَّل إليه بالفعل شديد الخطورة والأهمية ، فقد أبلغت القائد الأعلى

للمخابرات العلمية ، الذى أبلغنى الأمر بدوره ، باعتبارنا نمثل الجبهة الأمنية الأولى للبلاد .. ولأننى أدركت على الفور مدى ما يمكن أن يمثله هذا من خطورة ، فقد نجحت فى إقناعكما باتخاذ القرار المناسب ، فى مثل هذه الظروف .

قال الدكتور (ناظم) فى عصبية :

ـ بل قل : إنك قد نجحت فى خداعنا ، وفى أن تصوِّر لنا الأمر بصورة وردية ، جعلتنا نتورَّط معك فى هذه الكارثة .

انعقد حاجبا الوزير ، وهو يقول فى غضب :

ـ لقد اتخذتما قراركما بمحض إرادتكما ، ولا تحاولا التنصُّل منه الآن .

تراجع القائد الأعلى فى مقعده ، متمتمًا :

ـ لم تعد هناك فائدة لهذا .

تابع الوزير ، وكأنه لم يسمعه :

ـ لقد عملنا معًا طوال الوقت كيد واحدة .. الدكتور (ناظم) أدرج أبحاث الدكتور (وائل) تحت بند السرية المطلقة ، والقائد الأعلى أصدر بنفسه أمر بناء تلك الفيلا ، وسط الحى الراقى ، وتعديل زواياها ،

بحيث يواجه جدارها الخلفى موضع التقاء العالمين بالضبط .

صاح به الدكتور (ناظم) فى حدة :

- نعم .. هذا ما فعلناه ، وبعدها توليت وحدك الأمور كلها ، ولم نعد ندرى تقريبًا ما يحدث هناك .

لوَّح الوزير بذراعه ، هاتفًا :

- وماذا عن تلك الظلال ، التى تحتفظون بها هنا ؟! هل ستنكرون معرفتكم إياها أيضًا ؟!

تبادل الرجلان نظرة عصبية متوترة ، دون أن يجرؤ أحدهما على التفوه بحرف واحد ، فى حين تابع الوزير فى صرامة :

- كلنا اشتركنا فى هذا العمل ، وكلنا شاركنا فى خداع الرئيس ، ومؤسسة الرياسة ، وهيئة الأمن القومى نفسها .

وعاد حاجباه ينعقدان فى شدة ، وهو يضيف :

- وكلنا سنتحمَّل النتائج .

تمتم الدكتور (ناظم) فى انهيار :

- ويا لها من نتائج !

رمقه الوزير بنظرة صارمة ، قبل أن يقول :

- النتائج لم تُحسم بعد .. لقد استدعى الرئيس قائد حرسه الخاص ، وأسند إليه مهمة ما ، وكلنا نعلم أن تنفيذ هذه المهمة يعنى نهايتنا ، لذا فمن المحتم أن نمنع تنفيذ هذه المهمة ، بأى ثمن .

حدَّق الرجلان فى وجهه غير مصدقين ، ثم هبَّ القائد الأعلى من مقعده ، هاتفًا :

- كفى .. كل شىء انتهى ، عند هذه اللحظة .

قال الوزير فى حدة :

- لم ينته أى شىء بعد .

صاح القائد الأعلى :

- بل انتهى يا وزير الدفاع .. العلاقة بيننا وبينك على الأقل قد انقطعت ، وانتهى أمرنا .. إنك تتوغَّل أكثر وأكثر فى مستنقع الخيانة ، وليست لدينا أدنى نية لأن نتبعك داخله .

قال الوزير فى صرامة :

- لا أحد يمكنه التراجع الآن .

صرخ القائد الأعلى :

- اعتبرنا إذن لا أحد .

وهبَّ الدكتور (ناظم) من مقعده بدوره ، هاتفًا :

- أنت لا تدرك ما تفعله .. إنك فى سبيل إخفاء أخطائك ، تسعى لانقلاب عسكرى على نظام الحكم .

قال الوزير فى حدة :

- الانقلابات العسكرية تحدث فى كل مكان ، وفيها تكمن حلول جذرية ، لمعظم المشكلات السياسية والاقتصادية .. ثورة يوليو نفسها بدأت كانقلاب عسكرى .

هتف القائد الأعلى :

- ولكنها لم تقم لإخفاء أخطاء فادحة ، أو التستُّر على تجاوزات شديدة .. لقد قامت لإصلاح الأخطاء ، ومكافحة التجاوزات .

قال الوزير :

- ولكن قيامها كان حتميًّا .

صاح الدكتور (ناظم) :

- وهل توجد حتمية لانقلاب عسكرى الآن ؟

أجابه فى غضب :

- ألا يبدو لك الدفاع عن حياتنا حتمية ، تستحق انقلابنا على نظام الحكم ؟!

ران الصمت لحظة ، قبل أن يجيب القائد الأعلى فى صرامة :

- كلاً .. إنه لا يبدو لى كذلك أبدًا .. بل يبدو لى أشبه بالخيانة العظمى .. إننا ندافع عن خطأ بخطأ أكبر .. كيف ستحكم علينا الأجيال القادمة .

قال الوزير فى سخرية :

- الأجيال القادمة ؟! أكل ما يقلقك هو رأى الأجيال القادمة ؟! يا للسخافة ! هل تتوقَّع منى أن أضحى بالحاضر ، فى سبيل المستقبل ؟! هراء يا رجل .. لو أننا استسلمنا الآن ، فستتم محاكمتنا بتهمة الخيانة ، ولن تتحدَّث عنا الأجيال القادمة إلا بكل سوء ، أما لو قمنا بذلك الانقلاب ، فمن المحتمل أن نصبح أبطالاً ، فى كل كتب التاريخ فى المستقبل .

هزَّ الدكتور (ناظم) رأسه نفيًا ، وهو يقول :

- مستحيل ! ما تعلمناه الآن ، هو أن الحقيقة لا يمكن أن تتوارى إلى الأبد .. اللّه (سبحانه وتعالى) قادر على إبرازها وقتما يشاء ..

هتف الوزير فى حنق :

- هل سنقضى الوقت فى مناقشات فلسفية عقيمة ، أم نتخذ إجراءً حاسمًا ، إزاء ما يسعى إليه الرئيس .

أمسك القائد الأعلى سمَّاعة هاتف الفيديو ، وهو يقول فى صرامة :

- الشىء الوحيد ، الذى سأفعله الآن ، هو أن أجرى اتصالاً بالسيِّد رئيس الجمهورية ، وأشرح لـه كـل ما حدث .

هتف الوزير بوجه محتقن :

- هل جننت ؟!

أجابه الدكتور (ناظم) فى حدة :

- بل استعدنا عقلينا يا رجل ؛ فهذا أفضل ما نفعله ، بعد كل ما حدث .. سنواجه الموقف ، ونتحمَّل النتائج ، و ...

بتر عبارته بغتة ، واتسعت عيناه عن آخرهما ، وهو يحدِّق فى المسدس الليزرى القوى ، الذى انتزعه الوزير من غمده ، وصوَّبه إليهما ، هاتفًا فى شراسة :

- لا تتم هذا الاتصال .

أعاد القائد الأعلى سمَّاعة الهاتف ، وهو يقول فى عصبية :

- ما هذا يا رجل ؟! هل ستطلق علينا النار ؟!

صاح به الوزير فى حدة :

- لو اقتضى الأمر .

ثم التقط جهاز الاتصال من جيبه ، وضغط زره ، قائلاً :

- القمر .

سأله القائد الأعلى فى توتر :

- ما الذى يعنيه هذا بالضبط ؟!

أجابه الوزير ، وهو يعيد جهاز الاتصال إلى جيبه :

- إنها إشارة خاصة .. كلمة سر ، ما إن يسمعها رجالى ، حتى يبدءوا تحركاتهم على الفور .

كرَّر الدكتور (ناظم) مبهوتًا :

- تحركاتهم ؟!

أجابه الوزير فى صرامة :

- نعم يا دكتور (ناظم) .. تحركاتهم .. لقد سبق أن أخبرتكم أن كل شىء تم حسابه بمنتهى الدقَّة .. كل الظروف وكل الاحتمالات وُضِعَتْ فى الاعتبار ، حتى احتمال تراجعكما ، وخوفكما من إكمال المسيرة .

ثم أشار بيده ، قائلاً :

- ذلك الفريق من الرجال ، الذى صحبنى إلى هنا ، ليس مجرَّد فرقة من فرق الحراسة الخاصة فحسب .. إنه مجموعة من أقوى رجال العمليات الخاصة ،

لديهم أوامر محدودة ، بالتحرُّك فورًا ، للاستيلاء على مقر إدارة المخابرات العلمية ، فور سماع كلمة سر متفق عليها .

ثم تسللت ابتسامة ساخرة إلى عصبيته ، وهو يكمل :

ـ نفس الكلمة ، التى سمعتموها الآن .. (القمر) .

لم يكد يتمّ عبارته ، حتى انفتح باب مكتب القائد الأعلى ، وقفز عبره اثنان من رجال الوزير ، صوَّبا مدفعيهما الليزريين إلى القائد الأعلى ، والدكتور (ناظم) ، فى حين عاد الوزير يشدّ قامته ، وهو يقول فى صرامة شديدة :

ـ بكل وضوح أيها السيِّدان .. لقد سيطر الجيش رسميًا على المكان ، وأنتما الآن رهن الاعتقال ، ومنذ هذه اللحظة ، ستبدأ مرحلة جديدة .

ومرة أخرى ، تبادل القائد الأعلى والدكتور (ناظم) نظرة طويلة ..

نظرة تعنى أن مستنقع الخيانة ، الذى توغَّلا فيه معًا ، قد اتسع على الرغم منهما ..

اتسع ، حتى كاد يشمل (مصر) كلها ..

بلا استثناء ..

★ ★ ★

كل شىء كان مضطربًا مشوَّشًا ، فى نظر (أمجد صبحى) ، وهو يستعيد وعيه ..

كل شىء ..

كان رأسه يدور بشدة ، وهو يتطلَّع إلى جندى الصاعقة ، الذى يصوِّب إليه مدفعه الآلى ، وفيض من الغضب والصرامة يطلّ من عينيه ، ومن فوهة مدفعه ..

وسرت موجة عنيفة من التوتر ، فى جسد (أمجد) ، وهو يحاول النهوض ..

ولكن الآلام كانت تنتشر فى جسده كله ..

بلا استثناء ..

وفى يأس ، هتف الجندى الآخر :

ـ أرجوك يا رجل .. لا تقتله .

أجابه الأوَّل فى صرامة :

ـ إننى أنفذ أوامر القائد ..

وانعقد حاجبا (أمجد) فى شدة ..

ليس لما سمعه من حديث بين الرجلين ..

أو حتى لمرأى فوهة المدفع الليزرى ، المصوَّب إليه ..

ولكن بسبب ذلك المشهد الرهيب ، الذى أطلّ عليه ، من خلف الجنديين ..

مشهد زميلهما الصريع ، وهو ينهض جالسًا فجأة ، وعيناه تشتعلان بلهب أحمر مخيف ..

ومع تحديق (أمجد) فى ذلك المشهد ، استدار الجنديان إلى حيث ينظر بحركة آلية سريعة ..

وانتفض جسداهما فى عنف ..

ففى بطء ، نهض الجندى الصريع ، بعينيه المشتعلتين المخيفتين ، والتقط مدفعه الليزرى ، ورفعه فى مواجهتهما ، و ...

وكان الجندى الأوَّل هو أسرع الجميع إلى رد الفعل ، وهو يدير مدفعه الليزرى ، ويضغط زناده ، لتنطلق أشعته نحو صاحب العينين المشتعلتين ..

وعلى الرغم من أن خيوط الأشعة القاتلة قد اخترقت جسد الجندى الصريع ، فى مواضع شتى ، إلا أنها لم تزحزحه قيد أنملة عن مكانه ، وهو يضغط زناد مدفعه الليزرى بدوره ، ويطلق أشعته ..

واتسعت عينا (أمجد) فى ذهول ، عندما شاهد خيوط الأشعة تخترق جسد الجندى الأوَّل ، وتلقى به

بعيدًا فى عنف ، فى حين يميل زميله ، ذو الساق المصابة ، فى محاولة لاختطاف مدفعه الليزرى ، والدفاع عن نفسه ..

وبسرعة مخيفة ، استدار الجندى ذو العينين المشتعلتين ، إلى صاحب الساق المصابة ، الذى اختطف مدفعه بالفعل ، وهو يصرخ :

- لا .. ليس ثانية ..

واستعاد (أمجد) وعيه كله ، أمام ذلك المشهد الرهيب ، عندما اخترقت أشعة الليزر جسد صاحب العينين المشتعلتين فى عنف ، وهو يصوِّب مدفعه إلى ذى الساق المصابة ، و ...

ويطلق الأشعة ..

وصرخ (أمجد) :

- لا .. لا تقتله .

ولكن الجندى ذا العينين المشتعلتين ، لم يكن ينوى قتل الآخر ..

فعلى الرغم من قدرته على سحقه سحقًا ، انطلقت أشعة مدفعه الليزرى كلها نحو مدفعه ..

وانطلقت صرخة ألم ، من صاحب الساق المصابة ، عندما أصابت الأشعة مدفعه ، وأطاحت به فى عنف ..

وفى ذهول ، هتف الجندى :

ـ ربّاه ! حمدًا للّه .. إنه لم يقتلنى .

أجابه (أمجد) مبهورًا ، وهو يحدّق فى الجندى الآخر ، الذى خفض مدفعه ، وكأنما انتهى من مهمته :

ـ إنه لم يرغب فى هذا .

أدار الجندى عينيه المشتعلتين إليه فى بطء ، وبدا وكأنه يتطلّع إلى عينيه مباشرة ، على نحو جعله يتمتم :

ـ يا إلهى !

كان ، بحكم عمله السابق ، فى المخابرات العامة المصرية ، قد واجه ما يشيب لهوله الولدان ، وألقى نفسه بين فكى الموت مرات ومرات ..

ولكنها المرة الأولى ، التى يواجه فيها أمرًا خارقًا للطبيعة على هذا النحو .

وبأنفاس مبهورة ، وبينما يحدّق فى العينين المشتعلتين ، قال (أمجد) :

ـ أهذا ما يحدث هنا ؟!

أجابه الجندى بصوت مرتجف :

ـ نعم يا سيِّدى .. إننا نواجه تلك الظلال الرهيبة منذ البداية .

تساءل (أمجد) فى دهشة بالغة :

ـ الظلال ؟! أية ظلال ؟!

لم يكد ينطقها ، حتى خبا ذلك الوهج المشتعل بغتة ، من عينى الجندى ، وانبعث من مؤخرة عنقه لسان من اللهب ، قبل أن يهوى جثة هامدة كما كان ..

وانطلق ذلك الظلّ من جسده ..

واتسعت عينا (أمجد) عن آخرهما ، وهو يهتف :

ـ ربّاه ! أى عبث شيطانى هذا ؟!

وفى سرعة مدهشة ، دار ذلك الظلّ فى الهواء ، ثم انطلق نحو المستشار الأمنى لرئيس الجمهورية .. مباشرة .

★ ★ ★



٧ - نقطة الصفر ..

على الرغم من أن العقيد (باسل بهجت) قد أصدر أوامره بقتل (أمجد) ، وإلقاء التهمة على عاتق (نور) وفريقه ، إلا أن هذا لم يكف لمنحه الشعور بالارتياح والثقة ، فى تلك الليلة ، التى بدت وكأنها لن تنتهى أبدًا ..

فما دام (نور) ورفاقه ما زالوا على قيد الحياة ، فهذا يعنى أن الخطر لم ينته بعد ..

لا بد إذن أن يبذل قصارى جهده للقضاء عليهم ..

وبهذا فقط يمكن أن يحكم سيطرته على المكان ..

وعلى الموقف كله ..

إنه واثق من أنهم سيسعون حتمًا للعودة إلى فيلا الدكتور (وائل) ، على الرغم من كل ما يحيط بها من حراسة واستحكامات أمن ..

ومن الضرورى أن يسعى خلفهم ..

وأن يوقع بهم ..

ويسحقهم سحقًا ..

وبكل توتره وعصبيته ، صاح فى وجه قائد فرقة الصاعقة ، التى هزمها (نور) وفريقه فى المستشفى :

ـ كيف يمكنك أن تفسّر هذا أيها الرائد ؟! فريق كامل من رجالك يعجز عن الإيقاع بفريق علمى ، لا يضمّ سوى اثنين من المقاتلين فحسب ؟! كيف أمكنهم هزيمتكم على هذا النحو ؟! كيف عاملوكم بهذا الاحتقار ، وجردوكم من أزيائكم العسكرية ، وكل أسلحتكم ومعداتكم ؟! كيف ؟!

أجابه الرجل فى عصبية :

ـ إننا لم نواجههم قط يا سيِّدى القائد .

صاح به (باسل) :

ـ لم تواجهوهم ؟! أى قول سخيف هذا يا رجل ؟!

أجابه فى توتر :

ـ القول الحق يا سيِّدى .. لقد كنا نسيطر على الموقف تمامًا ، حتى إننا أجبرنا المقدَّم (نور) على الاستسلام ، وكنا نصوِّب مدافعنا إليه بالفعل ، عندما توهَّجت أغلفتنا الواقية بغتة ، وتفجَّرت عشرات القنابل فى رءوسنا ، فسقطنا فاقدى الوعى ، واستيقظنا لنجد أنفسنا هكذا .

انعقد حاجبا (باسل) ، وهو يحدِّق فى وجهه ، وكأنما يحاول التيقُّن مما يسمعه ، قبل أن يقول فى عصبية :

- أهذا تقرير رسمى يا رجل ؟!

أجابه الضابط فى حزم متوتر :

- يمكنك اعتباره كذلك يا سيِّدى .

انعقد حاجبا (باسل) أكثر وأكثر ، وهو يتفرَّس ملامحه مرة أخرى ، قبل أن يقول فى بطء :

- توهَّجت أغلفتكم ، ثم فقدتم الوعى ؟! ما الذى يمكن أن يعنيه هذا ؟!

أجاب الضابط :

- إنهم فريق علمى يا سيِّدى .

هتف (باسل) :

- ولكن بدون أية أجهزة علمية .

بدا التوتر أكثر على الضابط ، وهو يقول :

- الفريق العلمى الحقيقى ، لا يحتاج إلى أجهزة خاصة يا سيِّدى ، فكل ما يحيط به ينتمى للعلم ، على نحو أو آخر .

صاح به (باسل) فى حنق :

- كفاك فلسفة ، واذهب لتبحث عن ثياب بديلة ، أنت ورجالك ، وخذوا بعض الأسلحة الاحتياطية ، لنواصل عملنا هنا .

أدَّى الضابط التحية العسكرية ، قائلاً :

- كما تأمر يا سيِّدى .

تركه (باسل) ينصرف ، وهو يقول لنفسه فى عصبية :

- توهُّج ثم فقدان الوعى ؟! ما الذى فعله (نور) ورفاقه هذه المرة ؟!

مع آخر حروف كلماته ، ارتفع رنين جهاز الاتصال الليزرى فى جيبه ، فالتقطه فى سرعة ، وضغط زره ، قائلاً :

- العقيد (باسل بهجت) فى خدمتك يا سيِّدى الوزير .

أجابه الوزير فى صوت يشفَّ عن خطورة الأمر :

- اسمعنى جيِّدًا يا (باسل) .. لقد تطوَّرت الأمور كثيرًا .

سأله (باسل) فى توتر :

- كيف يا سيادة الوزير ؟!

قال الوزير فى سرعة :

ـ الرئيس استدعى قائد الحرس الجمهورى ..

انعقد حاجبا (باسل) فى شدَة ، وهو يكرِّر :

ـ قائد الحرس الجمهورى ؟! ولكن لماذا ؟!

صاح به الوزير فى حدة :

ـ لماذا ؟! أى سؤال هذا يا رجل ؟! استدعاء قائد الحرس الجمهورى يعنى أن الأمور ستتخذ اتجاهًا عسكريًّا ، وربما تحوَّل الأمر إلى حرب أهلية .

امتقع وجه (باسل) ، وهو يقول :

ـ حرب أهلية ؟! يا للشيطان !

قال الوزير فى صرامة :

ـ هل أخافك الأمر إلى هذا الحد ؟!

أجابه (باسل) :

ـ إننى لا أخشى شيئًا ، ولكن ..

قال الوزير :

ـ الأمر لم يعد يحتمل أى إجراء آخر .. لقد اتخذ الرئيس قرارًا بالمواجهة ، وهذا يعنى أن واحدًا فقط سيربح المعركة فى النهاية .. إما هو أو نحن .

أومأ (باسل) برأيه متفهِّمًا ، وكأنما يراه الوزير ، عبر جهاز الاتصال ، وقال :



انعقد حاجبا (باسل) فى شدَة ، وهو يكرِّر :
ـ قائد الحرس الجمهورى ؟! ولكن لماذا ؟! ..

ـ فهمت يا سيادة الوزير .. الأمر لم يعد يحتمل حلاً وسطاً .

شعر الوزير بتوتر (باسل) الشديد ، فقال فى شىء من الحزم :

ـ هل تعلم ما ستسفر عنه الأمور ، إذا ما دخلنا هذه المواجهة بكل قوتنا ؟!

أجابه (باسل) فى عصبية :

ـ ستصبح مذبحة .

قال الوزير :

ـ وماذا بعد المذبحة ؟!

لم يفهم (باسل) ما يعنيه الوزير بالضبط ، فحار فى البحث عن جواب شاف ، مما جعل الوزير يجيب بنفسه :

ـ ستستقر بنا الأمور ، ونصبح قادة هذا البلد .

هتف (باسل) فى لهفة :

ـ حقًا ؟!

أجابه الوزير ، وقد أدرك أنه قد أصاب هدفه بنجاح :

ـ عندئذ سأصبح أنا رئيس البلاد ، وسيكون من الضرورى أن يحصل شخص ما على منصب وزير الدفاع .

هتف (باسل) ، وقد أسال الحوار لعابه بشدة :

ـ بالتأكيد يا سيِّدى الوزير .. بالتأكيد .

قال الوزير فى بطء :

ـ ولن أجد من هو أفضل منك للمنصب .

تألقت عينا (باسل) ، وهو يهتف فى حماس :

ـ أنا رهن إشارتك يا سيِّدى الوزير .

أدرك الوزير عندئذ أنه قد بلغ هدفه ، فابتسم فى ثقة ، وهو يقول بلهجة آمرة :

ـ المفترض الآن أن نستعد للمواجهة يا (باسل) .. لقد أرسلت لك بالفعل فرقة صاعقة إضافية ، مدعَّمة بالحوَّامات النفاثة ، وعليك أن تحكم الحصار على المدينة ، وتمشِّط كل شبر منها ، حتى تعثر على (نور) هذا وفريقه ، أما بالنسبة للمستشار الأمنى ..

قاطعه (باسل) فى لهفة :

ـ لقد أصدرت أمرًا بإعدامه .

هتف الوزير ، وقد أخذته المفاجأة :

ـ أصدرت ماذا ؟!

ارتبك (باسل) ، وأدرك ، بعد أن أفلتت العبارة من بين شفتيه ، أنه قد أعلن للوزير ، على الفور ،

تجاهله لتعليماته ، وإصداره أمرًا بالغ الخطورة ، دون الرجوع إليه ، فى حين صاح الوزير فى غضب :

ـ كيف تصدر أمرًا كهذا ، دون الرجوع إلىَّ .

أجابه (باسل) ، فى توتر شديد :

ـ لقد حاول الفرار ، و ...

قاطعه الوزير بصرخة هادرة :

ـ ولو .

لم يدر (باسل) ماذا يقول ، فانخفض صوته ، مغمغمًا :

ـ لقد صدر الأمر يا سيِّدى ، ولم يعد التراجع ممكنًا .

احتقن وجه الوزير فى شدة ، وهو يهتف :

ـ صدر الأمر ؟!

لم يكن يشعر بالحزن أو الأسف ، لخبر مصرع (أمجد صبحى) ، ولكن كل ما كان يحنقه أن يفعل (باسل) هذا ، دون الرجوع إليه ..

كان هذا يعنى فقدانه لسيطرته عليه ..

وفى مثل هذا الموقف ..

وهذا ما يمكن أن يعرِّض العملية للخطر .. كلها ..

وفى حزم صارم ، قال الوزير ، وأصابعه تكاد تحطم جهاز الاتصال الليزرى :

ـ إياك أن تفعلها مرة أخرى يا (باسل) .. هل تفهم ؟! إياك .

لم ترق هذه اللهجة للعقيد (باسل) قط ، إلا أنه ازدردها مع لعابه ، وهو يتمتم فى شىء من العصبية :

ـ أفهم يا سيادة الوزير .. أفهم .

قال الوزير فى حدة :

ـ فليكن .. هيَّا .. نفذ ما لديك من أوامر ، حتى إشعار آخر .

قال (باسل) ، وهو يعض شفته ، فى محاولة لكتمان غضبه وثورته :

ـ عُلِمَ وسينفَّذ يا سيِّدى الوزير .

وأنهى الاتصال ، وهو يشتعل غضبًا ، ثم استدار يهتف برجاله :

ـ هل سنمضى الليل كله هنا ؟! هيَّا .. لا بد أن نعثر على فريق (نور) اللعين هذا ، بأسرع وقت ممكن .. هيَّا .

ثم وثب إلى سيارته ، وأشار بيده مرة أخرى ،

فانطلقت الدورية الصغيرة عائدة إلى حيث فيلا الدكتور (وائل) ..

إلى نفس الهدف ، الذى يسعى إليه (نور) ورفاقه ..

وكان هذا يعنى أن المواجهة تتحرَّك من كل الأطراف ، لتتم هناك ..

فى النقطة ، التى بدأ عندها كل شىء ..

نقطة الصفر ..

★ ★ ★

« لست أشعر بالارتياح قط .. »

نطق (أكرم) العبارة ، فى توتر بالغ ، وهو يشارك (رمزى) و (نور) عملية إخفاء آثار إطارات السيارات ، التى توارت فى مهارة بين الأشجار ، فى الحديقة التذكارية ، عند مدخل الحى الراقى ، قبل أن يستطرد فى حدة :

- كيف نمنح ثقتنا لصبى ، تسيطر عليه تلك الظلال ؟!

أجابه (نور) فى صرامة :

- لقد حسمنا هذا الأمر من قبل .

هتف (أكرم) :

- ألم تر كيف كان يعدو ؟! أو تلك الظلال التى

تبعته ؟! ماذا لو كنا وسيلتهم الوحيدة ، لغزو عالمنا كله ؟!

قال (نور) فى حدة :

- وماذا لو رفضنا مساعدتهم ؟! هل سيحلَ هذا المشكلة ؟! هل سيقتنع (باسل بهجت) ورجاله بالتوقُّف عن مطاردتنا ، أو التخلِّى عن فكرة اغتيالنا ؟!

أشاح (أكرم) بوجهه ، متمتمًا فى عصبية :

- ربما كان اغتيالنا هو أفضل ما يمكن أن يحدث ، بالنسبة للعالم كله .

قال (رمزى) مستنكرًا :

- أى قول هذا يا رجل ؟

هتف (أكرم) فى حدة :

- أليس أفضل من أن نكون مفتاح الغزاة إليه ؟!

صاحت بهم (سلوى) ، فى تلك اللحظة :

- ماذا تفعلون ؟! اخفضوا أصواتكم ، دوريات العدو تمر كل فترة وأخرى ، وربما جذبتهم هذه الضوضاء الصبيانية .

انعقد حاجبا (نور) ، وهو يقول فى ضيق :

- العدو ؟! إنهم رجال جيشنا يا (سلوى) .

أجابته فى إصرار :

ـ ماداموا يسعون خلفنا ، فسنطلق عليهم لقب العدو ..

ثم أضافت فى حزم :

ـ مؤقتًا .

اعتدل (أكرم) ، قائلاً :

ـ فليكن .. سنؤجِّل هذه المناقشة ، ما دامت غير مفيدة فى الوقت الحالى .

أسرع الجميع يختبئون ، بين أشجار الحديقة ، ولاذوا بالصمت بضع لحظات ، قبل أن يتساءل (رمزى) فجأة :

ـ هناك أمر لا أفهمه .

سأله (نور) فى اهتمام :

ـ وما هو ؟!

التفت (رمزى) إلى (نشوى) ، قائلاً :

ـ عندما تطلَّعت إلى ذلك الصبى ، هتفت : « أنت هو » ، فما الذى كانت تعنيه العبارة ؟

امتقع وجه (نشوى) ، وبدت مرتبكة للغاية ، فغمغمت أمها :

ـ كانت تقصد أن بداخله ظلاً أيضًا ، وأن ...

قاطعها (نور) فى حزم :

ـ اتركيها تجيب بنفسها يا (سلوى) .

عضت (سلوى) شفتيها ، وهى تتطلَّع إلى ابنتها فى إشفاق ، وتركَّزت العيون كلها على (نشوى) ، التى غمغمت :

ـ لقد كان الظل نفسه .

سألها الدكتور (حجازى) :

ـ أى ظل ؟!

رفعت عينيها إليه ، مجيبة بصوت مرتجف :

ـ الظل الذى كان بداخلى .

قفزت الدهشة إلى عيونهم جميعًا ، وتفجَّرت من بين شفتى (أكرم) ، وهو يهتف :

ـ وكيف أدركت هذا ؟!

ترقرقت الدموع من عينيها ، وهى تجيب :

ـ لست أدرى .. لقد تطلَّعت إلى الصبى ، فأدركت على الفور أن ذلك الظلَّ بالذات داخله .. لقد رأيته بوسيلة ما .

ثم تفجَّرت منها الدموع ، وهى تضيف :

ـ لقد ترك شيئًا ما بداخلي حتمًا .

قال (نور) بصوت متوتر :

ـ وهو يدرك هذا .

التفت إليه الجميع فى دهشة ، وأطلت من عينى (سلوى) نظرة ارتياع ، فتابع فى حزم :

ـ لهذا لم تبد عليه أدنى دهشة ، عندما تعرفته (نشوى) ، وكأنما من الطبيعى أن تفعل .

احتضنت (سلوى) ابنتها فى هلع ، وهى تهتف :

ـ وماذا يريد منها ؟! ما الذى يسعى إليه ؟!

« لا شىء يا سيدتى .. »

انتفض جسدها فى عنف ، عندما ترددت تلك العبارة ، قبل أن يبرز (هيثم) ، من خلف شجرة قريبة ، فهتف به (أكرم) فى حدة :

ـ أمن المحتم أن تفعل هذا كل مرة ؟!

تطلع إليه (هيثم) فى صمت ، ثم مد يده إلى (نشوى) بأحد أجهزة الكمبيوتر المحمولة (نوت بوك) ، وهو يقول :

ـ هذا هو الكمبيوتر ، الذى تحتاجين إليه يا سيدتى ، وهو مزود بوحدة تحكم عن بعد ، تعمل بالأشعة تحت

الحمراء ، ومن موقع مناسب ، يمكن توجيه أشعتها إلى وحدة استقبال ، قمت بتثبيتها ، فى قمة برج اتصالات القمر الصناعى ، وتوصيلها بوحدة مكبرات الصوت ، المنتشرة فى الحى كله .

ارتفع حاجبا (سلوى) ، فى دهشة عارمة ، وهى تهتف :

ـ وكيف علمت أن هذا ما أحتاج إليه ؟!

أدار عينيه إليها فى بطء ، قائلاً بذلك الصوت العميق :

ـ أنا أعلم .

تبادل الجميع نظرة متوترة ، قبل أن يلوح (أكرم) بمدفعه ، قائلاً فى صرامة :

ـ حسن .. نحن نشكرك كثيرًا أيها الظل ، ونعدك ألا ننسى دعوتك ، فى كل المناسبات السعيدة القادمة ، أما الآن ......

قاطعه (نور) فى صرامة :

ـ (أكرم) !

التفت إليه (أكرم) فى حدة ، هاتفًا :

ـ لا أظنكم ستبدءون عملكم أمامه !

هتفت (سلوى) :

ـ وما الفارق ؟!

ثم التقطت جهاز الكمبيوتر المحمول ، من يد (نشوى) ، وفتحته مستطردة فى عصبية :

ـ إنهم يعرفون .

بدا الغضب على وجه (أكرم) ، عندما بدأت عملها بالفعل ، وغمغم فى حنق :

ـ يمكنكم تسجيل اعتراضى على الأقل .

أشعلت (سلوى) وحدة التوجيه عن بُعد ، وهى تسأل الصبى :

ـ ما الموقع المثالى للتوجيه ؟

أشار بيده ، قائلاً :

ـ عند قاعدة تلك الشجرة هناك .

واصلت عملها على الكمبيوتر ، و (نور) يراقبها فى اهتمام ، فسأله الدكتور (حجازى) :

ـ ما الذى تفعله بالضبط ؟!

أجابه (نور) :

ـ نفس ما فعلته فى المستشفى .. ستطلق ذبذبة خاصة ، تضاعف جهد الغلاف الكهرومغنطيسى ،

المحيط برجال القوات الخاصة ، فتصيبهم صدمة كهربية ، تفقدهم الوعى لبعض الوقت .

سأله (رمزى) :

ـ لكم من الوقت .

صمت (نور) لحظة ، قبل أن يجيب :

ـ ربع الساعة تقريبًا .

هتف الدكتور (حجازى) :

ـ ربَّاه ! وهل سيكفى هذا لفحص الفيلا ؟!

قال (نور) فى توتر :

ـ إننا مضطرون للتحرُّك بأقصى سرعة ، على أية حال ، قبل أن يعود (باسل) ورجاله إلى هنا .

رفع (أكرم) مدفعه الليزرى ، وهو يقول فى حزم صارم :

ـ اترك لى أمر ذلك الوغد .

التفت إليه الجميع فى دهشة ، وسأله (نور) :

ـ ماذا تعنى ؟!

أجابه (أكرم) ، وهو يحاول أن يبتسم :

ـ أخبرتك من قبل أن الأفكار القديمة تنجح دائمًا .

كرَّر (نور) فى حدة :

ـ ماذا تعنى بالضبط يا (أكرم) ؟!

أجابه (أكرم) :

ـ دعنى أحتفظ بهذا مؤقتًا يا (نور) ، فلست أرغب فى شرح كل ما لدى ، أمام ذلك الـ ...

بتر عبارته بغتة ، وهو يحدّق فى تلك النقطة ، التى كان يقف عندها (هيثم) ، الذى اختفى فى هدوء ، دون أن يشعر به أحد ، فهتف الدكتور (حجازى) :

ـ ربّاه ! أين ذهب الصبى ؟!

غمغم (نور) فى حذر :

ـ ربما كان لديه ما يفعله .

قال (أكرم) فى حدة ، وهو يتلفَّت حوله فى عصبية :

ـ أو أنه يراقبنا من مكان ما هنا .

هتفت (سلوى) :

ـ دعه يفعل .. لن يمكننا منعه لو أراد .

ثم حملت الكمبيوتر الصغير ، واتجهت نحو الشجرة ، التى أشار إليها (هيثم) ، مستطردة فى حزم :

ـ المهم الآن أن أتمَّ الاتصال .

كانت تعمل فى سرعة ، والجميع يراقبونها فى اهتمام ..

ومن مكبرات الصوت ، المنتشرة فى الحىّ الراقى ، انبعثت فجأة ذبذبة عالية ..

وهتفت (سلوى) فى حماس ، وهى تضغط زرًّا آخر :

ـ الآن ..

ومع هتافها ، توقَّفت الذبذبة فجأة ، وتلاشت تمامًا ..

وهنا ، ربَّت (أكرم) على كتف (نور) فى حرارة ، هاتفًا :

ـ هيّا .. اذهبوا .. استقلوا إحدى السيارتين إلى الحىّ الراقى ، واتركوا لى السيارة الأخرى .

سأله (نور) فى توتر :

ـ ماذا تعنى ؟! ألن تصحبنا إلى هناك ؟!

هزَّ (أكرم) رأسه فى قوة ، قائلاً :

ـ بل سأنتظر مقدم ذلك الوغد .

هتف به (رمزى) :

ـ ولماذا ؟!

أجابه (أكرم) فى سرعة :

- سأحاول تعطيله لأطول وقت ممكن .

ثم غمز بعينه ، مستطردًا :

- ألم أقل لكم إننى أهوى الأساليب القديمة ؟!

انعقد حاجبا (نور) فى توتر ، وهو يتطلّع إلى عينيه مباشرة ، فهتف به (أكرم) :

- هيّا يا رجل .. لا تضع المزيد من الوقت .

ربّت (نور) على كتفه ، قائلاً :

- لا تجازف كثيرًا .

حاول (أكرم) أن يبتسم ، قائلاً :

- اطمئن يا (نور) .. إننى أهوى اللعبة ، بأكثر مما يهواها ذلك الوغد .

قال (رمزى) فى حزم :

- سأبقى معك .. اثنان أفضل من واحد .

أجابه (أكرم) فى حزم :

- إلا فى هذه الحالة .

نقل (نور) بصره بينهما لحظة ، قبل أن يقول فى حزم :

- هيّا يا (رمزى) .. لا ينبغى أن نضيع لحظة واحدة .

قفز الجميع فى السيارة الأولى ، وانطلق بها (نور) بأقصى سرعة ، متجاوزًا تلك الأشجار ، ومتجهًا نحو الحى الراقى ، فى حين التقط (أكرم) نفسًا عميقًا ، وهو يغمغم فى عصبية :

- كم يسعدنى تظاهرك بتصديق أننى أهوى تلك اللعبة يا (نور) .

وانعقد حاجباه فى شدة ، وهو يضيف :

- لعبة الموت .

أما (نور) ورفاقه ، فقد انطلقوا بالسيارة فى صمت ، وقد شملهم وجوم عجيب ، وكأنهم قد ودّعوا (أكرم) الوداع الأخير من فورهم ..

وكمحاولة لكسر ذلك الصمت الثقيل ، التقطت (نشوى) الكمبيوتر من أمها ، ووضعته على ساقيها ، وهى تضغط زر تشغيل الأسطوانات ، وتخرج أسطوانة الدكتور (وائل) من جيبها متمتمة :

- يمكننا استغلال هذه الدقائق ، فى حل شفرة هذه الأسطوانة .

دفعت الأسطوانة فى المكان المخصّص لها ، وضغطت أزرار التشغيل ، و ...

وانطلقت من حلقها شهقة ، جعلت الجميع يلتفتون إليها ، فى قلق ودهشة ، فى حين سألها (نور) فى توتر ، دون أن يرفع عينيه عن الطريق :

- ماذا هناك ؟!

هتفت (نشوى) :

- الدكتور (وائل) لم يضع أية مداخل سرية لهذه الأسطوانة .

سألها (نور) فى عصبية :

- ولماذا أفزعك هذا ؟!

أجابته فى سرعة :

- لأنه لو لم تكن هذه الأسطوانة بحاجة إلى شفرة تشغيل ، فما معنى تلك الشفرة ، التى يرددُها الجميع على مسامعى طوال الوقت .. ألف ستة وخمسون .. مائة وعشرة .. واو .. ياء .. ما معناها ؟!

أدرك (نور) سر توتر ابنته ، فانعقد حاجباه بدوره ، وهو يتمتم :

- نعم .. ما الذى تعنيه ؟!

ران عليهم صمت تام ، وكل منهم يبحث عن المعنى فى ذهنه ، قبل أن يقول الدكتور (حجازى) فى تردُد :

- ربما كانت هناك خزانة سرية أخرى .

هتفت (نشوى) :

- أية خزانة ؟! لقد أحضروا لى خزانة بعينها ، ورددوا شفرة خاصة ، ثم لم أجد أى رابط بين الشفرة والخزانة ، فما معنى هذا ؟!

بدت الحيرة علي وجوههم جميعًا ، وغمغم (نور) :

- ربما كان شيئًا ما داخل الأسطوانة .

هزت رأسها فى قوة ، قائلة :

- كلاً .. كل ما تحويه هذه الأسطوانة هو مجموعة تصميمات ، لجهاز يفترض أنه وسيلة الاتصال بين العالمين ، وقوائم المعادلات اللازمة للتنفيذ ، و ...

بترت عبارتها بغتة ، فهتف بها (نور) :

- وماذا ؟!

أجابت ، بعد برهة من الصمت :

- وعصا .

غمغم (نور) فى دهشة :

- عصا ؟!

لم تجب ابنته هذه المرة ، وإنما أتاه الجواب على لسان (رمزى) ، وهو يتطلع إلى شاشة الكمبيوتر ، قائلاً :

ـ نعم يا (نور) .. عصا من مادة نصف شفافة ، تنتهى بكرة سوداء .. نفس العصا التى دمرتها أنا ، عندما حاولت (نشوى) استخدامها ، فى فيلا الدكتور (وائل) ، لمساعدة تلك الظلال الرهيبة ، على العبور إلى عالمنا .

أكملت (سلوى) ، وصوتها ينتفض مع جسدها :

ـ من الواضح أن لتلك العصا أهمية بالغة .

أجابتها (نشوى) :

ـ بالتأكيد ، فبدونها لا يمكن أن يحدث العبور أبدًا .

هتف الدكتور (حجازى) :

ـ ولقد دمّرها (رمزى) .. عظيم .. هذا يجعلنا آمنين من تلك النقطة إذن ، فلم يعد من الممكن أن .....

قاطعته (نشوى) :

ـ هناك عصا أخرى .

جاء دوره لينتفض فى عنف ، هاتفًا :

ـ عصا أخرى ؟!

أجابته فى حسم :

ـ نعم .. الدكتور (وائل) أشار إلى وجود

تصميمين للعصا ، أحدهما ما عثرنا عليه ، والآخر أكثر تطورًا ، تكفى ضغطة واحدة عليه ، لفتح الفجوة بين العالمين لخمس دقائق متصلة .

غمغم (رمزى) :

ـ خمس دقائق فحسب .

أجابه (نور) فى حزم :

ـ بالنسبة لسرعة تلك الظلال ، تكفيها هذه الدقائق الخمس ، لنقل جيش كامل إلى عالمنا .

قال الدكتور (حجازى) فى عصبية :

ـ رباه ! جيش كامل ؟! إننا نواجه فرقة صغيرة منهم ، جعلتنا نشاهد رعب الدنيا كله ، فى ساعات قليلة .

غمغمت (نشوى) :

ـ ثلاثة فحسب .

بدت الدهشة على وجوههم ، و (نور) يسألها :

ـ ماذا تعنين ؟!

أجابته فى سرعة وثقة :

ـ لقد كانوا خمسة فقط ، الذين نجحوا فى العبور إلى عالمنا ، ولم يعد باقيًا منهم سوى ثلاثة .

هتف الدكتور (حجازى) فى دهشة بالغة :

ـ وكيف علمت هذا ؟!

بدت وكأنما صدمها السؤال ، فاتسعت عيناها فى دهشة ، وارتسمت عليها حيرة كبيرة ، وهى تغمغم :

ـ لست أدرى .. لست أدرى .

كانت لدى (نور) عشرات الأسئلة ، التى يرغب فى إلقائها عليها ، و ...

ولكن فجأة ، وهو يدور عند المنحنى الأخير ، الذى يقود إلى الحىّ الراقى مباشرة ، وقع بصره على آخر شىء يتوقّع رؤيته ..

على فرقة من فرق الحراسة ، التابعة للقوات الخاصة ..

فرقة تحيط بكل أفرادها تلك الهالات الكهرومغنطيسية الخضراء ..

ولكن المدهش حقًا هو أنهم جميعًا بكامل وعيهم .. وحيويتهم ..

وعتادهم ..

وفى نفس اللحظة ، التى وقع فيها بصرهم على

سيارة (نور) ورفاقه ، الذين استعادوا ثيابهم المدنيةَ ، ارتفعت فوهات مدافعهم الليزرية نحوها ..

وهتف (نور) برفاقه :

ـ احترسوا .

ومع هتافه ، انطلقت خيوط الليزر نحو السيَّارة .. بمنتهى العنف .

★ ★ ★





ودار الظلّ حوله بحركة سريعة ، كرداء مخيف ،
يلفّه الموتَ حول جسد حيّ ..

٨ - الإرادة ..

انتفض جسد (أمجد صبحى) فى عنف ، عندما انقضّ عليه ذلك الظلّ المخيف ، وانبعثت فى أعماقه صرخة قويةَ ..

لا يا (أمجد) ..

لا تسمح له بهذا ..

لا تسمح له باحتلال جسدك ، وسلب إرادتك ..

لا تسمح له أبدًا ..

لم تنطلق الصرخةَ من بين شفتيه ، ولكنها تردَّدت فى كل جزء من جسده ..

بل فى كل خليةَ من خلاياه ..

وكرد فعل غريزى ، استنفرت الصرخةَ كل قوته ..

كل إرادته ..

وكل كيانه ..

ودار الظلّ حوله بحركة سريعةَ ، كرداء مخيف ، يلفّه الموت حول جسد حىَ ..

ثم انقضَ ..

انقضَ على مؤخرة عنقه مباشرة ..

واتسعت عينا الجندى المصاب فى رعب هائل ، أمام ذلك المشهد الرهيب ..

وانطلقت من حلقه شهقة قوية ..

شهقة ذعر ..

وأسف ..

شهقة تشعر بالمرارة ، لأن تلك الظلال ستحتل جسد رجل كهذا ..

ولكن ما حدث أمام عينيه ، فى تلك اللحظة ، كان مدهشًا ..

وعجيبًا ..

إلى أقصى حد ..

لقد خُيِّل إليه أن الظل قد ارتطم بعنق (أمجد) ، ثم ارتدَ عنه فى عنف ، كما لو أن حاجزًا قويًا قد حال بينه وبين اختراق واحتلال هذا الجسد بالذات ..

وارتسمت الدهشة على وجه (أمجد) نفسه ، وهو يستدير لمواجهة ذلك الظلَ ، الذى توقَف لحظة ، كما لو أن الدهشة قد أصابته بدوره ..

ثم انقضَ مرة أخرى ..

وبالتفافة سريعة ، دار حول جسد (أمجد) ..

ثم انقضَ على مؤخرة عنقه ثانية ..

ومرَةً أخرى ، انطلقت تلك الصرخة فى أعماق (أمجد) ..

قاوم يا (أمجد) ..

تصدَ لذلك الشىء ..

لقد نجحت فى منعه من احتلال جسدك مرة ..

امنعه مرة أخرى إذن ..

قاوم ..

قاوم ..

وكما حدث فى المرة السابقة ، ارتطم الظلَ بعنق (أمجد) ، ثم ارتدَ عنه فى عنف ..

واتسعت عينا الجندى ثانية ، أمام ذلك المشهد المهيب ، ووجد نفسه يهتف :

ـ ربَاه ! لقد عجز عن اختراقك .

تمتم (أمجد) ، وهو يواجه ذلك الظلَ فى توتر :

ـ هذا ما يبدو ..

وتراجع ذلك الظلَ الرهيب ، وتوقَف على مسافة ثلاثة أمتار من (أمجد) ..

توقَّف تمامًا ، كما لو أنه قد تحوَّل إلى صورة صامتةَ جامدة ..

وعلى الرغم من أنه لم تكن له أية ملامح محدودة ، فقد خُيِّل لـ (أمجد) أنه يتطلَّع إليه بنظرة طويلة عميقة ، فى محاولة لسبر أغواره ، ومعرفة السر ، الذى جعل جسده منيعًا أمام محاولاته ..

ثم انقضَّ عليه مرة ثالثة ، على نحو مباغت ..

وفى هذه المرة ، لم يفعل (أمجد) شيئًا ..

لقد تحرَّك جسده على نحو غريزى ، بناء على خبراته السابقة ، وتضافرت خلاياه كلها بإرادة فولاذية ، لا مثيل لها ، لتصنع حاجزًا قويًا صارمًا ، ارتطم به الظلَّ مرة أخرى ، وارتدَّ على نحو أكثر عنفًا ..

وهتف الجندى مبهورًا :

ـ ربَّاه ! كنت أتصوَّر أنه ما من جسد بشرى يمكنه مقاومة هذا .

تراجع الظلَّ المخيف مرة أخرى ، ووقف فى مواجهةَ (أمجد) ، الذى غمغم ، فى مزيج من السخرية والتوتر :

ـ أراهنك على أنه هو نفسه كان يتصوَّر هذا .

لم يحرِّك الظلَّ ساكنًا ، وهو يواجه (أمجد) لدقيقة كاملة ، قبل أن يتحرَّك بغتة ..

وفى هذه المرة لم ينقضَّ عليه ..

بل وحتى لم يحاول ..

لقد اندفع مبتعدًا ، واختفى وسط الظلام ، وكأنما يعلن فشله الذريع ، فى هذه المرة ..

ولثوان ، وقف (أمجد) صامتًا ، وكأنما يحاول استيعاب الموقف ، ثم لم يلبث أن التفت إلى الجندى المصاب ، قائلاً :

ـ أنت بحاجة إلى إسعاف عاجل يا رجل ، فالدماء ما زالت تنزف من جرحك فى غزارة .

هتف الجندى فى حماس :

ـ دعك من هذا الآن ، فأنا جندى صاعقة ، ويمكننى احتمال الإصابة ، وأخبرنى أوَّلاً كيف فعلتها ؟!

اتجه (أمجد) إليه ، وهو يهزَّ رأسه ، قائلاً :

ـ لست أدرى .

قال الجندى فى انفعال :

ـ ولكنه عجز عن اختراق جسدك بالفعل .. ربَّاه ! لو لم أر هذا بنفسى لما صدَّقته .

غمغم (أمجد) ، وهو يعاونه على النهوض :

ـ دعنا لا نمنح الأمر أكثر مما يستحقه .

هتف الجندى :

ـ أكثر مما يستحقه ؟! من الواضح إذن أنك لا تدرك بالفعل أبعاد الموقف يا سيادة المستشار ، أما أنا ، فلم أر فى حياتى كلها ليلة ، أشدّ هولاً من هذه .. لقد رأيت جثث الموتى تتحرّك ، وتقتل بلا رحمة ، بعدما احتلّتها هذه الظلال .

ألقى (أمجد) نظرة على جثة الجندى الأوّل الصريع ، وهو يغمغم :

ـ لقد رأيت هذا بنفسى .

قال الجندى ، وهو يستند إليه ، فى طريقهما إلى سيارة الصاعقة :

ـ ولم يقتصر الأمر على أهوال تلك الظلال ، وإنما امتدّ إلى تلك الممارسات الوحشية للعقيد (باسل) ، الذى ..

بتر الرجل عبارته بغتة ، وكأنما شعر أنه قد تجاوز حدوده ، فاستحثّه (أمجد) على المواصلة ، قائلاً فى حزم :

ـ هات ما لديك يا رجل .. واطمئن .. لن يحاسبك أحد على حرف واحد مما تقول .

تطلّع إليه الجندى فى حذر ، فتابع :

ـ هذا وعد .

صمت الجندى بضع لحظات أخرى ، قبل أن يقول فى مرارة :

ـ سيّدى المستشار .. لقد حضرنا إلى هنا ، لنواجه تلك الظلال ، ونحمى الأرض من محاولة غزو جديدة ، كما أخبرونا ، ونحن فى طريقنا إلى هنا ، ولكن ما فعله قائدنا لم يكن ينتمى للروح الوطنية قط .. لقد أثار رعب المدنيين وذعرهم ، وروّع المرضى والآمنين ، وقتل أم الصبى وأباه ، وأحرق فيلتهم ، و ...

قاطعه (أمجد) فى غضب هادر :

ـ قتل وأحرق .. ربّاه ! أى هول هذا !

هزّ الجندى رأسه فى أسى ، وهو يغمغم فى ألم ومرارة :

ـ يا للصبى المسكين ! لا يمكننى أن أنسى قط ما أصابه ، عندما شاهد والديه يلقيان مصرعهما أمامه ..

هتف (أمجد) :

ـ أمامه ؟! يا للوحشية !

ثم أمسك كتفيه فى قوة ، قائلاً :

ـ قل لى يا رجل : ألديك استعداد للإدلاء بشهادتك هذه ، فى حضرة السيِّد رئيس الجمهورية شخصيًا .

بُهتَ الجندى ، وهو يغمغم :

ـ رئيس الجمهورية ؟! بالطبع يا سيادة المستشار .. إننى مستعد لفعل أى شىء ، من أجل سيادة الرئيس .

هتف به (أمجد) فى صرامة :

ـ بل من أجل (مصر) يا رجل .. كلنا سنفعلها من أجل (مصر) .. (مصر) وحدها .

أجابه الجندى ، وقد تسلَّل إليه الحماس :

ـ بالطبع يا سيادة المستشار .. إننى مستعد لبذل حياتى ، من أجل (مصر) .

ربَّت (أمجد) على كتفه فى حرارة ، هاتفًا :

ـ أحسنت يا رجل .. أحسنت .

ثم انعقد حاجباه فجأة ، وهو يسأله :

ـ ولكن مهلاً .. هل أخبرتنى أنكم كنتم تعلمون ،

وأنتم فى طريقكم إلى هنا ، إنكم سوف تواجهون تلك الظلال الرهيبة ؟!

غمغم الجندى :

ـ هذا صحيح يا سيِّدى .

انعقد حاجبا (أمجد) أكثر ، وهو يقول :

ـ عجبًا ! إن التقرير المشترك للقادة لم يشر إلى تلك الظلال قط ، على الرغم من أنهم يعلمون بوجودها منذ البداية ، فلماذا أخفوا أمرها ؟! لماذا ؟!

لم يكد يتمّ عبارته ، حتى أطلق الجندى شهقة قوية مذعورة ، جعلت (أمجد) يلتفت إلى حيث ينظر الرجل ، و ...

وانتفض جسده مرة أخرى ..

ففى سرعة وعنف ، كان ذلك الظلّ ينقض مرة أخرى ..

وفى هذه المرة ، لم ينقضّ على (أمجد) ..

وإنما على الجندى ..

وانطلقت من المسكين صرخة رعب وألم ، عندما انقضّ الظلّ على مؤخرة عنقه ، واخترقها فى سرعة عجيبة ..

وتراجع الجندى فى ألم ، وهو يمسك مؤخرة عنقه ، ويطلق صرخات قصيرة محدودة ..

ثم فجأة ، تجمَّد كيانه كله ، واشتعلت عيناه بذلك الوهج الأحمر المخيف ، وبدا وكأنه لم يعد يشعر بآلام ساقه ، وهو يتطلَّع إلى (أمجد) بنظرة رهيبة ، جعلت هذا الأخير يتمتم :

ـ يا إلهى !

وقبل حتى أن تكتمل كلمته ، كان الجندى يرفع فوهة مدفعه الآلى نحوه ، و ... •

ويطلق أشعة الموت ..

★ ★ ★

التقط اللواء (سليمان حازم) ، قائد الحرس الجمهورى ، نفسًا عميقًا ، وهو يهبط من سيارته ، أمام مبنى قيادة إدارة المخابرات العلمية ، وهمس لقائد رجاله ، الذين تبعوه فى سيارتين كبيرتين :

ـ استعدوا لتنفيذ الخطة ، فور سماع كلمة السر .

أجابه القائد فى حزم :

ـ سيتمّ كل شىء بمنتهى الدقة ، وفقًا للخطة الموضوعة يا سيِّدى .

تنهَّد اللواء (سليمان) ، وهو يغمغم :

ـ أتعشَّم هذا .

ثم اتجه إلى المبنى ، وقال لحارس بوَّابته :

ـ اللواء (سليمان حازم) .. قائد الحرس الجمهورى ، وأنا هنا بأمر من فخامة الرئيس مباشرة .

أدهشه أن تطلَّع إليه الجندى فى لا مبالاة ، وهو يقول :

ـ مرحبًا يا سيادة اللواء .. إننا فى انتظارك .

ضاعفت العبارة من دهشته ، وهو يدلف إلى المكان ، دون أن يهتمَ أحد بالتأكُّد من شخصيته ، ودون أن يخوض إجراءات الفحص المعتادة ..

وتوقَّف قلقه عند كلمة الجندى الأخيرة ..

إنهم فى انتظاره ..

ولكن كيف ؟!

إنه لم يبلغ أحدًا بقدومه ..

لم يبلغ أى مخلوق بصفة رسمية .. أو غير رسمية ..

فما الذى يعنيه أنهم فى انتظاره ؟!

لم تتوقَّف أفكاره هذه ، وهو يهبط داخل المصعد

الأسطوانى الشفاف ، إلى حيث مكتب القائد الأعلى للمخابرات العلمية ، ولا وهو يغادره إلى الممر القصير ، الذى يقود إلى حجرة القائد مباشرة ، ولا حتى وهو يتوقف أمامها ، قائلاً :

- اللواء (سليمان حازم) .

كان يتوقع انبعاث ذلك الشعاع الرفيع ، الذى سيفحص ملامحه ، وبصمة قزحيته ؛ للتيقن من شخصيته ، قبل السماح له بالدخول ، إلا أنه فوجئ بباب الحجرة الإليكترونى يُفتح مباشرة ، مع صوت وزير الدفاع ، وهو يقول بلهجة عجيبة ، تجمع ما بين الصرامة والسخرية :

- مرحبًا يا سيادة اللواء .. كنت فى انتظارك .

انعقد حاجبا اللواء (سليمان) ، وهو يقول فى توتر :

- أين القائد الأعلى ؟!

أجابه الوزير ، بنفس الصرامة الساخرة :

- اطمئن يا سيادة اللواء .. ستلحق به على الفور .

ومع تلك العبارة ، استوعب اللواء (سليمان) الموقف كله ، وقفزت يده إلى مسدسه المعلق فى حزامه ، و ...

وقبل أن تلتقط أصابعه المسدس ، اندفع من جوانب الممر ثلاثة من رجال الصاعقة ، صوَّبوا إليه مدافعهم الليزرية فى تحفز ، فى حين أطلق الوزير ضحكة ظافرة ، وهو يقول :

- أرجوك ألا تجعل هذا يدهشك يا عزيزى (سليمان) ، ففى هذه اللحظة ، يقوم رجالى بأسر فريق الحرس الجمهورى ، الذى اصطحبته معك ، ليساعدك على اعتقالنا .

شدّ اللواء (سليمان) قامته ، وهو يقول فى صرامة :

- هل تدرك ما يعنيه هذا بالضبط أيها الوزير ؟!

صمت الوزير لحظة ، ثم لم يلبث أن عقد كفيه خلف ظهره ، وهو يجيب فى حزم :

- نعم .. أدرك ما يعنيه بالضبط ، يا قائد الحرس الجمهورى .

وكانت هذه المحادثة القصيرة تعنى أنه لم يعد هناك مجال للتراجع ..

لقد بدأت المواجهة ..

وبدأ الانقلاب ..

العسكرى ..

★ ★ ★

بعد كل ما حدث ، وما فعلته (سلوى) ، لإفقاد جنود الصاعقة وعيهم ، كان من الطبيعى أن تتفجَّر دهشة الجميع فى عنف ، عندما يرونهم بكامل وعيهم ..

وبكامل قوتهم واستعدادهم ..

وخاصة عندما انهالت خيوط أشعتهم القاتلة على السيارة كالمطر ..

وفى توتر ، هتف (نور) ، وهو يدفع ابنته بعيدًا :

ـ احترسوا .

ومع هتافه ، انحنى الجميع ، لتفادى عشرات من خيوط الليزر ..

الجميع فيما عداه ..

لقد انحرف بالسيارة فى حركة حادة ، وانطلق بها ، محاولاً تفادى تلك الطلقات المدمرة ، متجاهلاً شعاع الليزر ، الذى اخترق زجاج السيارة ، ومرّ على قيد سنتيمترات من عنقه ، وذلك الذى حجبته عنه عجلة القيادة وحدها ..

وبكل دهشتها ، هتفت (سلوى) :

ـ مستحيل ! لقد أطلقت الذبذبة نفسها .

كان جنود الصاعقة يقفزون إلى سيارتهم ، لمطاردة سيارة (نور) ، بكل العنف والشراسة ، عندما هتفت بها (نشوى) :

ـ هناك خطأ ما حتمًا .. ربما فى وحدة التحكّم عن بعد ، أو فى وحدة استقبال الأشعة دون الحمراء .. إحداهما لم تتعامل مع التردُّد المطلوب بشكل مثالى .

وعلى الرغم من عنف المطاردة ، و (نور) ينطلق بالسيارة فى خط متعرِّج للغاية ، راحت أصابع (سلوى) تضرب أزرار الكمبيوتر ، بحثًا عن موضع الخطأ ..

وبكل العنف والشراسة ، أطلق جنود الصاعقة أشعتهم نحو سيارة (نور) ، وقائدهم يهتف ، عبر جهاز الاتصال الليزرى المحدود :

ـ إننا نطارد العدو يا سيادة العقيد .. لقد حاول دخول الحىّ الراقى بالفعل .

أتاه صوت (باسل) ، عبر جهاز الاتصال ، وهو يهتف :

ـ امنعوهم من بلوغ الفيلا بأى ثمن ، وأنا فى طريقى إليكم بأقصى سرعة .

فى نفس اللحظة ، التى نطق فيها عبارته ، كان (رمزى) يهتف :

ـ رباه ! لن ننجو من هذا أبدًا يا (نور) .. إنهم يطاردوننا بشراسة ، لم أر لها مثيلاً من قبل .

لم يكن يدرى ، وهو ينطق عبارته هذه ، أن سيارة أخرى ، من سيارات الصاعقة ، قد انضمَّت للمطاردة ، وأن (نور) يبذل جهدًا خرافيًا ، لمناورة السيارتين ، اللتين تناوران بدوريهما مناورة مدهشة ، لمحاصرته والإطباق عليه من الجانبين ..

وبحركة سريعة عنيفة ، ضغط (نور) فرامل السيارة قليلاً ، وهو يدور بها حول محورها فى مهارة ، وإطاراتها تطلق صرخة قوية ، قبل أن ينطلق بها فى الاتجاه المضاد ، نحو المدينة مباشرة ، للفرار من مطارديه ..

ولكن سيارتى الصاعقة تبعتاه بنفس المهارة ، وعادتا تطاردانه فى عنف وإصرار ، وأشعة الليزر تنهال من مدافع رجالهما ، نحو سيارته مباشرة ..

ثم ظهرت السيارة الثالثة ..

ظهرت بغتة ، عند مدخل المدينة ، واندفعت نحو سيارة (نور) فى قوة ، ورجالها يطلقون أشعتهم فى غزارة ، فى نفس الوقت الذى اتخذت فيه السيارتان الأخريان مسارًا جديدًا بارعًا ، يجبر (نور) على السير إلى الأمام فحسب ، دون أن يمتلك قدرة كبيرة على المناورة ، أو القيام بنفس الحركة السابقة ..

وهكذا بدا من الواضح أن النجاة من هذا الموقف أصبحت مستحيلة ..

تمامًا ..

ولكن فجأة ، هبَّت (سلوى) من مكانها ، حاملة ذلك الكمبيوتر الصغير ، وضغطت أحد أزراره فى قوة ، صائحة فى انفعال :

ـ لا مجال للخطأ هذه المرة .

ومع نهاية صيحتها ، انطلق ذلك الأزيز بقوة أكبر ، من كل مكبرات الصوت فى الحىِّ الراقى ..

ثم انخفضت شدته بغتة ..

وتلاشى دفعة واحدة ، مع صوت طرقعة مكتومة ، تصاعدت بعدها الأدخنة ، من وحدة الاستقبال ..

ومع تلاشيه ، تألَّقت الأغلفة المحيطة بالرجال بغتة ، وتوهَّجت فى عنف ، وانطلقت تلك الصرخات فى رءوسهم ، وفقدت السيارات الثلاث توازنها ، مع انهيار سائقيها ، فاندفعت عشوائيًّا ، بسرعتها المخيفة ، ومال (نور) بسيارته إلى اليمين ، واندفع بها إلى الأمام ، ووثب متفاديًا انقضاضة السيارة الأمامية ، ثم مال إلى اليسار فى حدة ، لتتجاوزه السيارة بشبر واحد ، وتندفع نحو السيارتين الأخريين ، ثم ترتطم بإحداهما ، وتقفز إلى ارتفاع ثلاثة أمتار ، قبل أن تسقط أرضًا ، وتنقلب على جانبها ، وتنزلق لعدة أمتار ، فى نفس الوقت الذى واصلت فيه السيارة الثالثة مسارها ، لتعترض طريق الثانية ، فترتطمان بعضهما بالبعض ، وتدفع إحداهما الأخرى أمامها لبضعة أمتار ، قبل أن تتوقفا ، ويهدأ الموقف كله ..

وضغط (نور) فرامل سيارته فى قوة ، وهو يهتف :

ـ ربَّاه ! لقد ارتكبنا أسوأ فعل فى حياتنا كلها .

قالها ، وهو يثب من السيارة ، ويندفع لجذب

الجنود الفاقدى الوعى ، خارج سياراتهم ، ولحق به (رمزى) والدكتور (حجازى) ، ليفحصا الجميع ، فى حين غمغمت (سلوى) فى توتر :

ـ لم يكن أمامنا سوى هذا .

احتضنتها (نشوى) ، قائلة :

ـ لقد قمت بعمل رائع .

تمتمت (سلوى) فى أسى :

ـ بإصابة كل هؤلاء المساكين ؟!

أجابتها فى سرعة وحرارة :

ـ بل بإنقاذ حياتنا جميعًا .

تطلَّعت كل منهما إلى الأخرى لحظة ، قبل أن تلقى (نشوى) نفسها بين ذراعى أمها ، وتنفجران بالبكاء معًا ، من فرط ما اختزنته نفساهما من توتر وقلق وانفعال ..

ومع هذا المشهد ، هتف الدكتور (حجازى) :

ـ (نور) .. عُد إلى زوجتك وابنتك ، وانطلقوا إلى الفيلا ، حتى لا نضيع دقيقة واحدة ، واتركنى مع (رمزى) ، لنسعف هؤلاء المساكين .

لم يعلِّق (نور) بكلمة واحدة ، وهو ينفصل عنهما ،

ويعدو عائدًا إلى السيارة ، ثم يثب إلى مقعد القيادة ، وينطلق بها بأقصى سرعته ، إلى حيث فيلا الدكتور (وائل) ..

كان جنود الصاعقة منتشرون في طرقات الحىّ ، وبهالاتهم الخضراء ، وقد فقدوا وعيهم جميعًا ، على نحو جعل المشهد مهيبًا مخيفًا ..

وعندما بلغوا الفيلا ، اندفعت (مشيرة) نحوهم ، من منزل الأستاذ (حسن) ، هاتفة :

- (نور) .. ماذا حدث ؟! ماذا أصاب هؤلاء الرجال ؟! لقد انبعثت تلك الذبذبة ، ثم تساقطوا جميعًا كالذباب .

كان سكان الحىّ يغادرون منازلهم فى حذر ، لرؤية هذه الظاهرة العجيبة ، فهتف بهم (نور) فى صرامة :

- فليعد كل منكم إلى منزله .. هؤلاء الرجال سيستعيدون وعيهم بعد قليل .. لا داعى للمجازفة .. سيأتى آخرون بعد فترة قصيرة ، ولا أريدهم أن يفرغوا غضبهم فيكم .

تراجع السكان فى خوف ، فى حين قالت (مشيرة) فى توتر :

- ولكنكم أفقدتموهم الوعى يا (نور) .. أليس كذلك ؟! لماذا لا تفعلوا هذا مع الآخرين .

أجابتها (سلوى) هذه المرة :

- لم يعد هذا ممكنًا يا (مشيرة) .. قوة الذبذبة أتلفت وحدة استقبال الإشارة أيضًا .

حدَّقت فيها (مشيرة) لحظة ، ثم نقلت بصرها إلى (نشوى) ، قبل أن يرتجف صوتها بشدَّة ، وهى تقول :

- (نور) .. أين الآخرون ؟!

ثم التفتت إليه فى حدة ، هاتفة :

- أين (أكرم) ؟!

أجابها (نور) فى حزم :

- الجميع بخير يا (مشيرة) .. اطمئنى .

قالت فى شراسة :

- أين هو يا (نور) ؟!

كرَّر فى صرامة شديدة :

- الجميع بخير .

ثم التفت إلى (سلوى) و(نشوى) ، قائلاً وهو يشير إلى الفيلا :

- هيًا .. أمامنا وقت قليل ، حاولوا استغلاله بأفضل ما يمكن .

ودون مناقشة ، اندفعت كلتاهما إلى الفيلا ، فى حين تساءلت (مشيرة) بقلق عارم :

- (نور) .. أنت لا تكذب أبدًا .. أجبنى بكل صراحة .. أين (أكرم) ؟!

تطلّع إلى عينيها مباشرة ، وهو يجيب :

- صدقيني يا (مشيرة) .. الجميع بخير .

ظلّت تتطلّع إلى عينيه لحظة ، قبل أن تتنهّد فى ارتياع ، متمتمة :

- حمدًا لله .

برز الأستاذ (حسن) فى هذه اللحظة ، وهو يقول :

- سيّد (نور) .. أعلم أنك تخشى أن يعود ذلك العقيد الوغد ، ويصبَّ جام غضبه علينا ، ولكننى مصرّ على مساعدتك ، بأى شكل تراه .

تطلّع إليه (نور) لحظة ، قبل أن يشير بيده ، قائلاً :

- فليكن يا أستاذ (حسن) .. يمكنك أن تجرّد الرجال الفاقدى الوعى من أسلحتهم ، وتخفيها بعيدًا عن متناول أيديهم .

هتف الرجل فى حماس :

- بالتأكيد .

ثم بدا عليه التردّد لحظة ، فسأله (نور) :

- ماذا هناك ؟!

خيّل إليه أن سؤاله قد أطلق لسان الرجل من عقاله ، فاندفع يسأل فى لهفة :

- قل لى يا سيّد (نور) .. هل لمحتم صبيًا صغيرًا ، فى مكان ما ، حول الحىّ ، وأنتم فى طريقكم إلى هنا ؟!

انعقد حاجبا (نور) ، وهو يتطلّع إليه ، قبل أن يقول فى بطء :

- إنه صبى حاد الذكاء .. أليس كذلك ؟!

هتف الرجل فى لهفة أكبر :

- هل رأيته ؟!

صمت (نور) لحظة أخرى ، ثم أجاب بنفس البطء :

- اطمئن يا أستاذ (حسن) .. الجميع بخير .

تهلّلت أسارير الرجل ، وهو يهتف :

- حمدًا لله .. حمدًا لله .. أشكرك يا سيّد (نور) .. أشكرك كثيرًا .

قالها ، واندفع ينفذ ما طلبه (نور) ، فى حين سألت (مشيرة) هذا الأخير فى قلق :

- (نور) .. كيف رأيتم (هيثم) ؟!

أجابها فى هدوء :

- لقد عاوننا على ما فعلناه ، وأعطانا أسطوانة فيديو ، وطلب منا رؤية ما تحويه .

أغلقت عينيها ، وهي تغمغم :

- إنه هو .. حمدًا لله .

ثم استطردت فى انفعال :

- شاهدوا تلك الأسطوانة يا (نور) .. إنها ستعطيكم فكرة كاملة عما حدث .. لقد التقط (هيثم) ما حدث فى فيلا الدكتور (وائل) بمنتهى الدقة .

انعقد حاجباه ، وهو يغمغم :

- حقًا ؟! هذا سيفيدنا كثيرًا فى تقدير الموقف بالتأكيد .

ثم أشار بيده ، قائلاً :

- (مشيرة) .. أعلم كم يبلغ فضولك ، لمعرفة ما سنفعله فى الفيلا ، ولكن الشىء الوحيد ، الذى ينبغى أن أخبرك به ، هو أن الأمر قد ينطوى على

خطر بالغ ، لذا فالأفضل أن تبتعدى عن هنا .. هل تفهمين ؟!

كانت طبيعتها العنيدة تستحثُّها على رفض نصيحته ، والإصرار على دخول الفيلا ، إلا أن شيئًا ما فى أعماقها ، أو فى نظرة عينيه الحازمة القلقة ، جعلها تغمغم فى استسلام :

- بالتأكيد يا (نور) .. بالتأكيد .

ابتسم فى توتر ، مغمغمًا :

- عظيم .

ثم تركها ، واتجه إلى داخل الفيلا مباشرة ......

كانت (سلوى) و (نشوى) داخلها ، وقد استعادت الأخيرة حقيبتها الوردية ، وأخرجت جهاز الكمبيوتر الخاص بها ، وراحت تتابع على شاشته أسطوانة الفيديو ، التى منحهم (هيثم) إياها ، وهى تهتف :

- أبى .. انظر .. هذه الأسطوانة تحوى كل التفاصيل .. ها هو ذا الانفجار يحدث .

شاهد (نور) المشهد ، على شاشة الكمبيوتر ،

وراح يتابع تكوّن ذلك القوس الرهيب ، الذى أحاط بنصفها الخلفى كله(*) ..

ثم ظهر ذلك العالم العجيب ..

الرهيب ..

عالم الظلال ..

عاصفة جليدية عاتية ، فى مكان رهيب ، مخيف ، يمتدّ إلى ما لا نهاية ، تحت سماء بنفسجية داكنة ، تتألّق فى نهايتها شمس حمراء كبيرة ، على الرغم من الثلوج المائلة للزرقة ، التى تملأ المشهد كله ..

ثم بدت تلك الظلال واضحة ، وهى تندفع نحو الفجوة ، لتعبرها إلى عالمنا ..

وانعقد حاجبا (نور) فى شدة ..

الآن فقط رأى المشهد بنفسه ..

الآن فقط أدرك ما فعلته تلك الظلال ..

وشاهد لهفتها للعبور إلى عالمه ..

(*) أجهزة الكمبيوتر الحديثة مزوّدة بكارت خاص ، لالتقاط صور ومشاهد الفيديو ، أيًا كان مصدرها ، سواء أكان جهاز بث فيديو كاسيت ، أو أسطوانات ليزر ، أو أسطوانات مدمجة ، أو حديثة (DVD) . ويؤكد صانعو الكمبيوتر أن كل الأجهزة القياسية ، ستحوى مثل هذا الكارت فى المستقبل .

والآن فقط ، مالت إحدى الكفتين إلى الأخرى ..

ومال عقله إلى فكرة واحدة ..

فكرة الغزو ..

فعلى الرغم من كل ما فعلته تلك الظلال من أجلهم ، أصبح أكثر ميلاً للاقتناع بأنها تسعى للغزو ..

لاحتلال الأرض ..

والسيطرة عليها ..

وبكل توتره ، قال فى حزم :

ـ إنها ليست صديقة بالتأكيد .

التفتت إليه (نشوى) فى دهشة ، قائلة :

ـ لماذا تقول هذا يا أبى ؟!

أجابها فى حزم أكبر :

ـ تلك الظلال ليست صديقة .

هتفت (سلوى) بوجه شاحب :

ـ (نور) .. أأنت واثق من استنتاجك هذا ؟!

أشار إلى شاشة الكمبيوتر ، وهو يجيب فى حدة :

ـ راجعى المشهد مرة أخرى ، وستدركين ما أعنيه .. لقد انفتحت الفجوة ، بين عالمهم وعالمنا ، فاندفعوا يحاولون عبورها فى لهفة ، وكأن هذا غاية أملهم وأرفع أهدافهم .

هتفت (نشوى) :

- لا يا أبى .. أنت لا تفهم الأمر على حقيقته .

أجابها فى صرامة :

- بل أصبحت أفهم بكل وضوح يا (نشوى) .. إنهم مجرَّد غزاة .. ربما أجادوا اللعبة ، ليعيدونا إلى هنا ، لهدف ما فى نفوسهم ، ولكن كل ما يسعون إليه بالفعل هو الغزو .. غزو عالمنا ، والسيطرة على مقاديرنا .

صرخت (نشوى) :

- لا .. إنهم ليسوا كذلك ؟!

ومع صرختها ، انبعث هواء بارد كالثلج فى المكان ، على نحو تراجعت معه (سلوى) ، هاتفة :

- يا إلهى ! يا إلهى !

ومع هتافها ، تجمَّدت عينا (نشوى) على نحو عجيب ، وتعلَّقت عيناها بجزء من جدار الفيلا ، وهى تردِّد فى آلية :

- ألف ستة وخمسون .. مائة وعشرة .. واو .. ياء .

انعقد حاجبا (نور) ، وهو يتابعها ببصره ، عندما

اتجهت نحو ذلك الجزء من الجدار ، وضغطته بكفها فى قوة ، و ...

وفى نعومة مدهشة ، دار ذلك الجزء من الجدار حول نفسه ، كاشفاً خزانة إليكترونية كبيرة ، مزوَّدة بأزرار لرقم شفرى خاص ..

وشهقت (سلوى) ، فى حين ازداد انعقاد حاجبى (نور) فى شدة ..

إذن فهذا هو التفسير ..

تفسير تلك الشفرة ..

الغامضة ..

★ ★ ★

سرت موجة من التوتر فى جسد (أكرم) ، عندما لمح أضواء سيارات الدورية ، التى يقودها العقيد (باسل) ، وهى تقترب من بعيد ، وازدرد لعابه فى شىء من العصبية ، وهو يتمتم :

- هيَّا يا (أكرم) .. استعد لمواجهة ما سعيت إليه .

وفى سرعة ، حمل مدفع الليزر ، وجذب إبرته ، لتنشيط خزان الطاقة ، وهو يستعيد ما خطَّط له منذ قليل ..



وفى نعومة مدهشة ، دار ذلك الجزء من الجدار حول نفسه ، كاشفاً خزانة إليكترونية كبيرة ..

ثم أسند كعب المدفع إلى كتفه الأيمن ، وهو يغمغم :

ـ طلقة واحدة .. كل ما سأملكه هو طلقة واحدة ، لا بد أن تصيب هدفها بمنتهى الدقة ، وإلا فلن تسنح لى فرصة ثانية قط .

كان يدرك أن الطلقة الأولى ستكشف موضعه حتمًا ، وتمنح الرجال فرصة تحديد موقعه ، كما أنها ستستهلك كل عامل المفاجأة ، ولن يكون عليه بعدها سوى أن يقاتل بوجه عار ، وأوراق مكشوفة ، حتى آخر رمق ..

المهم ألا ينجح (باسل) فى الوصول إلى فيلا الدكتور (وائل) ، إلا بعد أن يخسر الكثير من الوقت ..

كل ما يحتاج إليه (نور) ورفاقه من وقت ..

حتى ولو كان الثمن هو حياته ..

اقتربت السيارات أكثر وأكثر ، وراح عقله يحصيها ، والتوتر فى أعماقه يتضاعف ..

ويتضاعف ..

ويتضاعف ..

كانت الدورية تتكوَّن من ثلاث سيارات ، اثنتين من سيارات (الجيب) ، وناقلة جنود كبيرة ..

وفى حزم ، أدار (أكرم) محرك سيارته ، وهو يغمغم :

- الأوغاد ينطلقون فى المقدمة دائمًا ..

وبمنتهى الإحكام ، ومن بين أشجار الحديقة التذكارية ، صوَّب مدفعه نحو السيارة (الجيب) فى المقدِّمة ، وهى تقترب ..

وتقترب ..

وتقترب ..

وعندما أصبحت على مسافة مناسبة ، هتف (أكرم) :

- إلى الجحيم أيها الوغد .

وضغط زناد مدفعه الليزرى ..

وانطلق خيط الأشعة ، لينسف الإطار الأمامى الأيمن للسيارة (الجيب) فى المقدِّمة ..

ومع انفجار الإطار ، انحرفت (الجيب) بحركة حادة ، ومع سرعتها البالغة ، انقلبت فى عنف ، وبدت أشبه بكرة من المطاط ، وهى تثب عاليًا ، ثم تسقط مرتطمة بالأرض مرة أخرى ، لتتدحرج عليها بضع لحظات ، ثم تنفجر فى عنف ..

وأما (الجيب) الأخرى ، وناقلة الجنود ، فقد توقَّفتا بحركة عنيفة ، جعلت إحداهما تدور حول نفسها ، فى حين انحرفت الثانية على نحو بالغ الخطورة ، قبل أن تنجح فى التوقُّف إلى جانب الطريق ، فى صعوبة بالغة ..

وفى نفس اللحظة ، التى توقَّفت فيها (الجيب) الثانية ، برز منها العقيد (باسل) ، بوجه محتقن من شدة الغضب ، وهو يستلّ مسدسه الليزرى من غمده ، هاتفًا بكل سخط وانفعال الدنيا :

- طاردوا من فعل هذا .. اسحقوه سحقًا .

انعقد حاجبا (أكرم) فى غضب ، عندما وقع بصره على (باسل) ، الذى أفلت من الكمين ، وعلى الجنود الغاضبين المتحفزين ، الذين قفزوا من سيارتهم ، واندفعوا نحو الحديقة التذكارية ، وصرخ فى قوة :

- اللعنة !

ومع صرخته ، ضغط دوَّاسة الوقود بكل قوته ، فوثبت سيارته من بين الأشجار ، وانقضت كوحش ثائر على (باسل) ورجاله ..

وفى آن واحد تقريبًا ، ارتفعت فوهات مدافع الجميع ..

وانطلقت خيوط الليزر القاتلة كالمطر ، وكلها تتجه نحو هدف واحد ..

(أكرم) ..

★ ★ ★

لثانية أو ثانيتين ، حدّق (نور) و(سلوى) فى تلك الخزانة الإليكترونية فى الجدار ، فى دهشة عارمة ، قبل أن تغمغم (سلوى) فى انبهار :

- إذن فهذا سر تلك الشفرة .

ومع قولها ، كانت (نشوى) تضغط أزرار الخزانة ، مرددة :

- ألف ستة وخمسون .. مائة وعشرة .. واو .. ياء ..

تابعها (نور) فى اهتمام ، حتى ضغطت الزر الأخير ، فأصدرت الخزانة أزيزًا خافتًا ، قبل أن يدور بابها حول نفسه ، وتنكشف محتوياتها كلها ..

كانت تحوى بعض الأوراق ، ومجموعة من أسطوانات الكمبيوتر ، و ...

وتلك العصا نصف الشفافة ..

وعندما وقع بصر (نور) عليها ، انعقد حاجباه فى شدة ..

ففى تلك العصا ، تكمن المشكلة كلها ..

ضغطة واحدة على تلك الكرة السوداء فى مؤخرتها ، تكفى لفتح الفجوة بين العالمين ، لخمس دقائق كاملة ..

هكذا تؤكد أبحاث الدكتور (وائل) ..

وأوراقه ..

والله (سبحانه وتعالى) وحده يعلم ، ما الذى يمكن أن يحدث عندئذ ..

خمس دقائق تكفى ، لينتقل جيش كامل من الظلال إلى عالمنا ..

جيش من مخلوقات اكتسبت خبرة كبيرة ، فى التعامل مع الأجساد البشرية ، والسيطرة على عقولهم ، ومشاعرهم ، ومهاراتهم ، و ...

وذاكرتهم أيضًا ..

جيش يمكنه السيطرة على مجتمع بأكمله ..

على علمائه ..

وجيشه ..

وقادته ..

وحتى زعمائه ..

وعندئذ ستنفتح فجوة أكبر ..

وستتدفَّق جيوش أخرى من الظلال ..

جيوش تكفى لاحتلال العالم كله ..

بلا استثناء .

توقَّفت أفكاره ، عندما شاهد يد ابنته تمتدّ ، لتلتقط تلك العصا من الخزانة ، فصاح :

ـ لا يا (نشوى) .. لا ..

اندفع بكل قوته نحوها ، محاولاً منعها من التقاطها ، إلا أنها استدارت إليـه فـى شراسة مخيفة ، وعيناها تتوهجان بذلك البريق الأحمر المخيف ، وانبعث من أعماقها صوت رهيب ، وهى تقول :

ـ ابتعد .

صرخت (سلوى) فى رعب :

ـ ربَاه ! لا .. ليس (نشوى) .

أما (نور) ، فقد اندفع نحو ابنته ، وقد تضاعف إصراره على منعها من التقاط تلك العصا ..

ولكن يد (نشـوى) تحرَّكت فى سرعة ، ولطمته

فى صدره لطمـة قويـة ، بدت لـه أشبه بمطرقـة مـن الصلب ، هوت عليه بمنتهى العنف ، فاقتلعتـه مـن مكانه ، وألقته نحو الجدار المقابل ، ليصدم بـه ، ثم يسقط أرضًا ..

وقبل أن ينهض من سقطته ، كانت (نشوى) قد التقطت تلك العصا بالفعل ، وأمسكت الكرة السوداء فى مؤخرتها ، وهى تصوِّبهـا إلـى الجدار الخلفـى المنهار للفيلا ، فهتف (نور) فى ألم :

ـ لا يا (نشوى) .. لا تفعليها ..

ولكن (نشوى) فعلتها ..

وضغطت الكرة السوداء فى قوة ..

ودوت فرقعة مكتومة قوية فى المكان ..

وشهقت (سلوى) فى رعب ، واتسعت عينا (نور) عن آخرهما ، عندما تألَّق الجزء المتبقَّى من الجدار فى قوة ..

ثم برز القوس فجأة ..

قوس اللهب المخيف ، الذى يحيط بالفجوة بين العالمين ..

وهبَّت فى الوجوه رياح باردة كالثلج ..

ووسط الفجوة ، ظهر ذلك العالم الرهيب ، الذى تهبَ عليه العواصف الجليدية العاتية ..

عالم الثلوج المائلة إلى الزرقة ، بسمائه البنفسجية ، وشمسه الحمراء المخيفة ..

ووسط ذلك العالم ، ظهرت تلك الظلال الرهيبة ..

الظلال التى اتجهت مباشرة ، وبكل سرعتها إلى الفجوة ، لتبدأ عملية الغزو ..

غزو الأرض ..

★ ★ ★

انتهى الجزء الثالث بحمد الله

ويليه الجزء الرابع والأخير

(الغزاة)



د. نبيل فاروق

ملف المستقبل

سلسلة روايات بوليسية للشباب من الخيال العلمى

123

دائرة الظل

- كيف يتغلب (نور) وفريقه على حصار رجال القوات الخاصة لهم ؟!
- ما الخطوة التالية للظلال الرهيبة ؟ وما هدفها الحقيقى مما يحدث ؟!
- ترى هل يمكن أن ينتصر فريق (نور) هذه المرة ، أم يسقط إلى الأبد فى (دائرة الظل) ؟!
- اقرأ التفاصيل المثيرة ، وقاتل مع (نور) وفريقه .. من أجل الأرض ..



ـــــمـ

الثمن فى مصر ٢٠٠
ومايعادله بالدولار الأمريكى
فى سائر الدول العربية والعالم

العدد القادم : الغزاة